année ; année No. 904

LeCaire 8 — 10 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر البلاد الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

« العدد ٩٠٤ » « القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ١٣٧٠ — ٩ أكتوبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

معاني الهجرة

للأستاذ واصف البارودي

نحن اليوم في سنة ١٣٧٠ من هجرة محمد بن عبد الله ، النبي العربي ، المختار من ربه ، الخالق المنعم ، ليحول قدس أقداس الحياة السرمدية — فيطلع على أدق أسرارها خفاء في الأزل ، وعلى ألطف معانيها خلودا في الأبد ، ويكشف ما في الحياة من نواميس تتحقق بها سعادة الإنسان بتحقيق إنسانيته ، فردا ومجتمعا ، في دنياه وآخرته ! ...

١٣٦٩ سنة مضت على هجرة محمد بن عبد الله ، إمام تهضة العرب وبعثها ، وهو المصطفى من رب العالمين ، جلت حكمته ، لحمل رسالة إلهية تنير ظلام الأفئدة ، وتهز كيان الأرواح في الأجساد ، فتتجه النفوس ، في اتباعها طائعة مختارة ، إلى ما تقتضيه تلك النواميس الإلهية ، نواميس الحياة ، من إيمان وثبات وإقدام ، وعزم وتضحية وإخلاص ، تتم بها إنسانية الإنسان في تحقيق ذاتيتها ! ...

نحتفل اليوم بذكرى مرور ١٣٦٩ سنة على هجرة محمد بن عبد الله ، العربي المتحرر ، بإرادة علوية قديرة ، ليكون الهادي لطريق الحق الذي يتحرر في سلوكه عباد الله ، من قيود الوثنية الظالمة ، ومن طغيان أوثانها المستعبدة — أوثان الحجر وأوثان البشر وأوثان النفوس ، وقد اتبع ما أوحاه إليه ربه في كتابه الحكيم — قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا .

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ... » هذا ما أمره به ربه ! فلا مندوحة له إذن عن تحمل أعباء الرسالة وفق نواميس الحياة البشرية .. سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ! ...

الدعوة دعوة إلى الله ، والدين دين الله .. ومهمة صاحب الرسالة تبليغ تلك الدعوة ، وتثبيت أركان ذلك الدين !! فهل يتم له ذلك ، وهو بشر ، إلا بالصبر على الأذى وتحمل المكاره ، أولا ، ثم بالجهاد ، في أوسع معانيه — من جهاد نفس ، تثبيتا للجنان في مواقف الضعف والهوان ، وجهاد قتال ، دفاعا عن الحرية ، وحماية للحق الذي يجب أن يصان ؟ ...

رسالة النبي رسالة تجدد وتحرر . وقد تسامت رسالة محمد بن عبد الله في النضال من حرية الإنسان إلى درجة أبت سموا أن تكره أحدا على إتباع الدين ، وقد تحمل صاحبها ما تحمل في سبيل الدعوة إليه ، وفي سبيل نشره وتثبيت أركانه

في القلوب !.. فأوحى إليه ربه صريح قوله - « لا إكراه في الدين » - فتقررت بذلك حرية العقائد بين البشر، ما دامت العقائد تحترم الحرية، وما دامت متحررة من طغيان الأوثان ومن قيود طاغوتها.

وقد كان محمد بن عبد الله، صاحب هذه الذكرى، خير أسوة للبشر في التحرر، وخير معلم أوضح معاني الحرية على حقيقتها، في التفكير وفي الشعور وفي النزوع، قولاً وعملاً. ولم يكفه هذا، وقد تحمل في سبيله أنواع الأذى والآلام، بل عقد النية على الجهاد في سبيل الدفاع عن حرية الإنسان، فهاجر هجرة الجهاد.

والجهاد، ليس هو، في حقيقته، مطلق الحرب والقتال! وإنما هو حرب في سبيل الله وقتال عن مثل عليا، من حق وخير وجمال، والله جامعها. وهو قتال لا مراد فيه، صوناً للحرية من أن تشوه حقيقتها، أو أن يعتدي على تدسيتها طغاة الأوثان. فليس التعدي على حقوق الغير جهاداً، وليس في الضغط على حرية الإنسان، في تفكيره وشعوره ونزوعه، وفي التعبير عنها، أي معنى للجهاد؛ وإنما هما قتال عدوان وطغيان أوثان!

فالجهاد الذي تنشده المثل العليا، المتحررة المحررة، هو من المعاني الأولى التي تضمنتها هجرة الرسول العظيم وصحبه الميامين. فما وجدت في القرآن الكريم آية ذكرت فيها الهجرة، إلا ذكر معها الجهاد في سبيل الله. فقد ورد، مثلاً في سورة البقرة، قوله تعالى - « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله، أولئك يرجون رحمة الله، والله غفور رحيم » وهكذا في سورة آل عمران والأنفال والنحل والحج. ففيها جميعها آيات بينات تقرن الهجرة بالجهاد وتنص دائماً على أن يكون في سبيل الله، أي في سبيل المثل العليا، والله جامعها، لتحرير البشر من تحكم الأغيار ظلماً واستبداداً!...

فالهجرة إذن هجرتان - هجرة جهاد في سبيل الله وهجرة سعي في سبيل الدنيا للذة والاقتناء. والنية هي قوام التمييز بين الهجرتين. وقد أوضح ذلك نبي الهجرة في قوله - « إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله. ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه

فليست هجرة السعي وراء التكسب أو العيش هجرة جهاد؛ وليست هجرة الأنبياء هجرة جهاد؛ وإنما تكون هجرة الجهاد بتبييت النية، وبالتكتل الصادق، والاستعداد الصحيح للدفاع عن حرية الإنسان في حياته، وبالتضحية في سبيل حرية المواطن، في بلاد ورثها عن آبائه وأجداده، ولمحاربة طغيان الأوثان، ومكافحة الظلم والاستبداد.

ولهذا كان على من يرغب في هـــذه الهجرة أن يسبقها بهجرة روحية، هي هجرة النفس إلى ربها، تحقيقاً للآية الكريمة - « فآمن له لوط، وقال إني مهاجر إلى ربي، إنه هو العزيز الحكيم » وبهذه الهجرة يتحقق الإيمان الصحيح، دون التواء ولا نفاق.

وأنت إذا تأملت في آية الهجرة التي وردت في سورة البقرة - « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله ». لوجدت أن الهجرة قد ذكرت بين حالتين - حالة الإيمان وحالة الجهاد. فالهجرة إذن، في حقيقة معناها نتيجة طبيعية للإيمان تستلزم الجهاد. وهي هجرة رياضة روحية، تتصل بها الروح بربها لتعتق من قيود التقاليد البالية، ومن تعسف طغيان الأوثان، على أنواعها، وهجرة نشاط عملي ينتقل بها الإنسان إلى حيث يتسنى له الاستعداد للجهاد الذي تستلزمه، إنقاذاً للحرية الإنسانية التي أرادها الخالق لعباده.

ولا فرق بين أن يكون المكان بعيداً أو قريباً، فالشأن كل الشأن في وجود الأنصار الصادقين، وفي التكتل والانسجام في إيمان صحيح، وبنية خالصة. وهذا ما جرى للرسول الأعظم وصحبه الميامين، تحقيقاً لرسالته الإنسانية، المنسجمة مع حكمة الله في نواميس الحياة.

فليست أهمية هجرة الرسول في الانتقال من بلد إلى بلد، وإنما تتجلى أهميتها وتبرز أدق معانيها السامية في اختيار الوقت الملائم بعد تركيز عقيدة الإيمان، وتثبيتها في نفوس نساء ورجال، يتكونون بها تكوناً إنسانياً جديداً، فيولدون ولادة ثانية، يتحررون معها مما يرسفون فيها من قيود التفكير والشعور،

ويتقدون بها من إرث الاستسلام اطيان الاوثان : أوثان النفس في داخل كيانها ، وأوثانها في سلامها مع كون هو خارج من وجودها الفاني ، أي مع محيطها . أولئك الشهداء ، وأولئك الرجال هم أناس يعرفون كيف يموتون بنفوسهم في سبيل الله ، أي في سبيل العقيدة التي انعقدت عليها قلوبهم في صميم الأفئدة ، وفي سبيل المبادىء والمثل العليا التي تستلزمها تلك العقيدة . وبذلك وحسب تستكمل الأمم نهضتها وتعتق أمجادها ..

إن الإسلام وقد كان العامل القوى الدروية في وثبتها لتحرير البشرية ، وفي نهضتها لتكوين حضارة إنسانية محررة ، تصل الأجيال في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ؛ إن هذا الإسلام كان في زمن الهجرة ، عند مفترق الطريق . فاما وثوب وتقدم ، واعتلاء ومجد ، وإما إنكماش وتقهقر واندثار وفناء ! ... فالوضع كان إذن ، بالنظر إلى السلمين العرب ، أو العرب المجاهدين ، وضع موت أو حياة . فجاءت الهجرة محكا يميز الخبيث من الطيب ويفرق بين النفاق والإخلاص . ولا تقوم نهضة قوية ، وتفكرة صحيحة ، إلا بجهود مخلصين من المؤمنين ! فلا يتعلق أمر النجاح على الكمية ، وإنما على الكيفية وحدها يتوقف النجاح في الجهاد .

فمعنى الهجرة أوسع مدى من أن يحصرها حديث ، وتعاليها تتلخص في استلزام الجهاد لفكرتها بعد إيمان صحيح وعقيدة راسخة ، وبمحاسنها في حسن اختيار الوقت اللازم مع الاستعداد التام للحوادث ، وفي اكتشاف المؤمنين المخلصين والمؤمنات الخالصات ، وفي الاعتماد على هؤلاء ، مهما قل عددهم ! ولا اعتبار للكمية في الحياة . والهجرة مع ذلك كله عزم وإقدام وثبات وتضحية وإخلاص .

فهل لنا ، ونحن المواطنين في البلاد العربية جماء ، مسيحيين ومسلمين — هل لنا وقد استدار الزمن وأصبحنا في وضع يجب فيه أن نتعاون جميعا على نهضة وطنية قومية صادقة ، أن نستمد من معاني الهجرة قوة نستعيد بها المجد الضائع ؟ ... أم سنظل على زهونا في تزويد الالفاظ وتبادل المجاملات ، نتسابق في حلبة الاخطاب في الأقوال ، والانتصار بما نقول ؟ ... كأنى بنا وقد أصبحنا نرى أن لا واجب علينا يتجاوز حدود هذه الأقوال ، والزهو بما نمل الآخرون ! — وقد أصبح الذكر العبقرى نبيا من يعرف كيف يستغل تلك الذكريات العظيمة لمصالح خاصة حقيرة ، بالنسبة لما يجب ان يتحقق بها في ذات إنسانية الإنسان ، من معان ومن أمجاد ! ...

اللهم صل وسلم وبارك على نبيك محمد بن عبد الله ، وعلى صحبه الباقين ، من مهاجرين وأنصار ، وقد آمنتهم بالهجرة « فأجابوا داعي الله » . اللهم اهدنا سبيلك ، ووفقنا لنفهم حقيقة التحرر في معاني تلك الهجرة التي غيرت وجه التاريخ ! وأرشدنا للعمل الصالح لنا ولجميع البشر ، لتهنأ الإنسانية بالسلام والطمأنينة والسعادة ! وأنقذنا ، اللهم من قيود عقولنا ، ومن استسلام نفوسنا ، حتى ندرك معنى قولك ، وقولك الحق ، في كتابك المنزل .

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .
صدق الله العظيم ! ...

بيروت — **واصف البارودي**
المفتش الأول في وزارة التربية الوطنية

ذكرى كربلاء

دم الحسين

للأستاذ علي الهاري

في العاشر من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة وقع حادث عظيم ارتاعت منه قلوب المسلمين، ولا تزال ترتاع منه القلوب كلما جاء ذكره في اليوم العاشر من المحرم، ذلكم الحادث الشنيع هو قتل الحسين بن علي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة

وكان المسلمون من شيعة علي يحتفلون بذكرى مقتل الحسين، يتمكنون من ذلك في بعض السنين، وفي بعض البلدان، ويمنعون من الاحتفال بهذه الذكرى كلما وقعوا تحت سلطان حاكم لا يتشيع لأهل البيت، وظلوا كذلك حتى كانت دولة البويهيين في بغداد، فجعلت الاحتفال بذكرى مقتل الحسين أمراً رسمياً يلزم به جميع الناس، فقد أمر حاكم بغداد معز الدولة ابن بويه في سنة ٣٥٢ هـ « أمر الناس أن يغلقوا دكاكينهم وأن يبطلوا الأسواق، والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح وأن يخرج النساء منشرات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن، ويدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن، ويبكين على الحسين بن علي رضي الله عنه، ففعل الناس ذلك »[1]، وصارت عادة توارثها الناس.

وقد أردت أن أجول جولة تاريخية، وأقف بعض الأخبار لأصل ذكرى مقتل أبي الشهداء:

كان النزاع قديماً بين بني هاشم قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين بني أمية قبيلة أبي سفيان ابن حرب، وكانت بنو هاشم أعظم وأشرف — فلما جاء الرسول منهم زادهم رفعة وشرفاً،

وكما قال معاوية بن أبي سفيان وقد قيل له: أيهما أشرف نحن أم بنو هاشم؟ فقال: كنا أشرف واحداً، وكنا أكثر عدداً، فما كان إلا كلا، ولا، حتى جاءوا بواحدة يفت الأولين والآخرين يريد النبي صلى الله عليه وسلم، ويقوله: أشرف واحدا: عبد المطلب بن هاشم، ولم يستطع الأمويون أن يظهروا زعامتهم في عهد رسول الله، ولا في عهد الخليفتين من بعده، فلما كانت خلافة سيدنا عثمان — وهو منهم — استطاعوا أن يتحكموا في سياسة المسلمين، وظلوا كذلك حتى قتل عثمان، ثم قام النزاع بين علي ومعاوية، ذلك النزاع الذي انتهى بقتل ابن أبي طالب كرم الله وجهه، واستقرار الملك لابن أبي سفيان، وظل معاوية في خلافة المسلمين عشرين عاماً، وقد رأى قبل وفاته أن يجعل الملك وراثياً، فأخذ البيعة لابنه يزيد، ولكنه كان يعلم أن في المسلمين رجالاً تتجه إليهم الأنظار، وتهوي بحبهم القلوب، لذلك أوصى يزيد عند احتضاره فقال: « يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين ابن علي، وعبد الله ابن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة، وحقاً عظيماً، وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم، ليس له همة إلا في النساء واللهو، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه، فقطعه إرباً إرباً »[2].

وتولى يزيد الخلافة، ولم يكن بالخليفة المحبوب من المسلمين، فثارت عليه مدينة رسول الله، ولكنها لم تنجح في ثورتها، فهزمتها جيوش يزيد، ودخلتها، وأباحتها ثلاثة أيام. على أن

[1] كتب الأستاذ ضياء الدين الدخيلي بحثاً ممتعاً عن هذه الناحية وتطورها بمجلة الرسالة في مثل هذا التاريخ من العام الماضي، هذا والنص المذكور من تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ١٩٨

[2] هذه رواية الطبري وفي كثير من كتب التاريخ والأدب اسقاط ابن أبي بكر من الوصاة

أعظم حادث في عهد يزيد بل في عهد الدولة الأموية كله ما وقع للحسين بن علي وآل بيته ، فان الحسين لم يرض عن بيعة يزيد وكان يرى أن من واجبه أن يجاهد هذا السلطان الجائر ، المستحل لحرم الله ، المخالف لسنة رسول الله ، ووجد في العراق متسعا لدعوته ، وميدانا لمراده ، بعد أن كثرت رسائل العراقيين إليه يدعونه ، ويلحون في دعوته ، فما هو إلا أن انتهت أيام الحج من تلك السنة سنة احدى وستين حتى خرج يريد الكوفة ، ومع أن الحسين سمع في طريقه ما يشككه في نوايا أهل العراق وإخلاصهم إلا أنه كما قال الشاعر :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

لما خرج من المدينة لحق به أحد كبرائها فقال : أين تريد ؟ قال : أريد العراق ، قال له : ارجع ، فأبى ، فقال : أحدثك حديثا ما حدثت به أحدا قبلك ، ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، وأنكم بضعة منه ، فوالله لا يليها أحد من أهل بيته أبدا ، وما صرفها عنكم إلا لما هو خير لكم ، فارجع فأنت تعرف غدر أهل العراق ، وما كان يلقى أبوك منهم ، فأبى الحسين ، فاعتنقه وقبله وبكى ، وقال : استودعك الله من قتيل !

ولما خرج من مكة لقيه الفرزدق الشاعر مقبلا من العراق ، فقال : إلى أين يا حسين ؟ قال : إلى الكوفة ، قال : ارجع فلاقت فيها خير ، قال : بين لي خبر الناس ، قال : قلوب الناس معك ، وسيوفهم عليك ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء. فقال الحسين : لله الأمر ، يفعل ما يشاء. ثم حرك راحلته وسار ، وما لاقى الحسين في طريقه أحدا يعرف اخلاصه وصدقه إلا نصحه بالرجوع ، وأكد له أن ليس له في العراق خير ، ولكنه عزم وصمم لأمر أراده الله ، والله بالغ أمره .

كان الحسين في عدد قليل من أصحابه لا يبلغ المائة ، وكان جيش العراق الذي قابله أربعة آلاف ، فوجد أنه لا طاقة له بالقتال ، فعرض عليهم أن يقبلوا منه واحدة من ثلاث ، إما أن يرجع إلى مكة ، أو يذهب إلى يزيد الخليفة في الشام ، أو يذهب إلى ثغر من ثغور المسلمين يحارب فيه حتى يموت ، ولكن تلك

الأحقاد القديمة ، فيتمثل ابن زياد بقول الشاعر :

الآن إذ علقت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناص

فلا يقبل الجيش منه إلا أن يذهب إلى الوالي عبيد الله بن زياد ليرى فيه رأيه ، يا سبحان الله ! الحسين بن علي بن أبي طالب ابن فاطمة الزهراء صاحب السبق والسابقة في الإسلام يذل فيكون أسيرا في يد ابن زياد الذي لا يعرف له نسب ! لذلك أبى الحسين - وكان أبيا - أن يجيبهم إلى ما طلبوا ، وقال : كلمته الذهبية : لا والله ، لا أعطيهم بيدي اعطاء الذليل ، ولا أقر إقرار العبيد . ثم تظاهر الأحقاد القديمة مرة أخرى ، فيكتب ابن زياد إلى قائد جيشه : أما بعد فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، ولا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان . فحالوا بينه وبين الماء ، ذلك الماء الذي يشرب منه اليهودي والنصراني والمجوسي يمنع منه ابن بنت رسول الله ! ويعجبني ما كان يفعله الصاحب بن عباد ، فانه كان إذا شرب ماء باردا حمد الله ثم قال : اللهم العن من منع الحسين الماء .

وبعد الجهد ما أمكن للناس دم الحسين ، ولكن أكثرهم تهيبه ، ومن ثم عرض على والي المدينة ، وكان ابن عم الخليفة أن يقتل الحسين ان لم يبايع فقال : والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس من مال الدنيا وملكها ، وأني قتلت حسينا . سبحان الله ! أقتل حسينا أن قال لا أبايع ، والله إني لأظن أن امرأ يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان .

وقد طال تردد رجال الجيش ، وكان كل واحد منهم يتمنى أن يبوء غيره بدم الحسين ، حتى تقدم شقيهم فأصاب الحسين ، ثم تقدم الأشقى فذبحه - رضي الله عنه - كما تذبح الشاة .

وتصور لنا كتب التاريخ ما أصاب الذين اشتركوا في دم الحسين ، فقد كان دمه شؤما على كل الذين أساءوا إليه ، فالفارس الذي احتز رأس الحسين لم يمهله الله إلا ليلة واحدة ، فانه حمل الرأس ، وذهب جذلان فرحا إلى والي الكوفة ، وهو ينشد :

أوقر ركابي فضة وذهبا اني قتلت الملك المحجبا

خير عباد الله أما وأبا

فقال له الوالي : يا أحمق ، إذا كان خير عباد الله أما وأبا فلم

صور من الحياة :

هوى على الشاطئ

للاستاذ كامل محمود حبيب

— ٣ —

— وانطوت أيام وحانت ساعة الوداع ، فوقف الفتى — على الشاطئ — إلى جانب فتاته يناجيه بكلمات تختلج فيها زفرات اللوعة وتنبعث منها حرارة الأسى . وتعانق القلبان ساعة من زمان ثم افترقا ليلتقيا — بعد حين — في القاهرة .

غادر الفتى الأسكندرية ، مسرح الهوى والغرام ، ومهد السعادة والرضا ؛ غادرها وفي قلبه غصة وفي فؤاده شجن ، فانقبضت أساريره ، وغامت الدنيا في ناظريه ، وغم عليه وجه الرأي ؛ فانطوى على خواطره حينا جليس الخلاص فلا يجده ، ويطلب السلوى فتنز عليه .

ورأت الزوجة في زوجها أمراً غريبا عنها ، رأته عبوس الوجه مقطب الجبين ساهم الفكر ، وبدا لها أن صدمات من الضيق والأسى توشك أن تخترمه فتعصر روحه وتذيل أمله ، فراحت تحوم حواليه تريد أن تستشف خلجات ضميره أو أن تنفذ إلى أغوار سره ما استطاعت ، وهي فتاة غريرة تعوزها الحيلة وتفتقر إلى الدهاء ، فأمسكت على مضض وإن قلبها ليحدثها بخطر ذي بال ، والصبية إلى جانبها ينكرون إهمال الرجل لهم وانصرافه عنهم وهو كان بهم حفيا رحيما ، يداعبهم حتى تستقر نفوسهم ، ويلاعبهم حتى يتمرغ البشر . أما هذه الدار فقد تبدل حالها ، فهي الآن تعتمد على أسس واهية من نزوات طائشة تغشى قلب الزوج فتسلبه الرأي والصواب ، وتقوم على عمد متداعية من الشك الذي تنبت به نفس الزوجة فينتزع منها الراحة والهدوء ، والصغار بينهما يعانون الإهمال والضياع في غير ذنب .

ومرت الأيام تذكر الفتى الساذج بفاتنته يوم أن كانت روح الفتى تضطرم في نفسه فترجعه من الفتى وترده إلى الدار والزوجة والولد ؛ على حين كان الرأس يسدل أستار النسيان — رويداً رويداً — على الذكريات الشاطئ ، التي أشعل عبيرها الجذاب ورشف رحيقها

قتلته ؟ اضربوا عنقه . والفارس الذي منعه الماء مات عطشان بالرغم من أنه كان يسقى الماء حتى يبقر ، ثم يعود فيشرب حتى يبقر ، وما زال كذلك حتى لفظ أنفاسه . والشقي بحر بن كعب وقد سلب الحسين لباسه — كانت يداه في الشتاء تنضحان الماء ، وفي الصيف تيبسان كأنهما عود . وأما عمر بن سعد قائد الجيش فقد قتل — فيما بعد — في داره . وأما عبيد الله بن زياد والي العراق فقد قتل في ثورة المختار الثقفي ، وذهبوا برأسه إلى علي بن الحسين فوسلوا إليه ظهرا ، وهو يتغدى فقال : سبحان الله ، ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله في عنقه نعمة . لقد أدخل رأس أبي على عبيد الله بن زياد وهو يتغدى . وفي بعض الكتب أنه لما انتهب عسكر الحسين وجد فيه طيب فما تطيبت به امرأة إلا برصت . ثم خرجت الخلافة من أسرة معاوية بعد قليل . وكذلك كتب عبد الملك بن مروان إلى قائده الحجاج يقول : جنبني دماء أهل هذا البيت ، فإني رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين .

(وبعد) فإلى أي حد بلغت فظاعة هذه الجريمة ؟ إن بعض السلف بعيدا من ذلك فيقول : لو كنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل يجيئها عنه بعض اليهود — بت يقول لبعض المسلمين : إن بيني وبين داود سبعين أبا ، وأن اليهود إذا رأوني عظموني وعرفوا حقي ، وأنه ليس بينكم وبين نبيكم إلا أب واحد قتلتم ابنه . ثم ماذا ؟ ثم ننشد مع السيد الحميري

أمرر على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكية
يا أعظما لا زلت من وطفاء ساكبة رويه
وإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطيه
وابك المطهر للمطهر والمطهرة النقيه
كبكاء معولة أتت يوما لواحدها المنيه

ألا رضي الله عن الحسين ، ولعن الذين عدوه الله ، وجازى قاتليه بما هم له أهل .

علي الصباري

المعهد الفلسفي — أم درمان

الحلو ، هناك في الإسكندرية على حين غفلة من الدين والزوجة ، فسكتت نوازع الحماقة في قلبه ، وهدأت نزوات الطيش في فؤاده ، غير أنه لم ينس فتاته . . . الفتاة التي تفتح لها قلبه أول مرة فرأى فيها فتوناً جمة من المرأة صاغتها يد الحضارة الصناع ، فتوناً جمة جذابة افتقدها في زوجته الريفية التي حبستها التقاليد القاسية بين أسوار من العمى والجهل .

وهبت أولى نسمات الشتاء تحمل طياتها خبر قدوم الفتاة التي أحب فهب يلقاها في نشوة وطرب ، وتلاقيا على ميعاد .

واستلب الفتى من وعيه – فتى مثله وديعه ، فانطلق على سننه والفتاة إلى جانبه تجذبه إليها في رفق وتسيطر عليه في هوادة وتلقاه في بشر ، وتفتح أمامه باب السينما وتعود به السبيل إلى المسرح وهو ينقاد لها في سهولة ويسر ، فانشغل من الدار والزوجة والولد ، وطار إلى المتعة لا يعبأ بشيء ، ومن ورائه زوجته تتقلب في حرقة الوحدة والريبة ، وتتلظى بنار الأسى والضيق ، ثم لا تستطيع أن تجذبه إلى الدار ولا أن ترده عن الغواية .

وتيقظ ضمير الفتى – ذات مرة – فأحس بأنه استعبد لفتاة من بنات حواء فشعر بعض القيد في رجله والغل في عنقه ، فأراد أن ينزع عنه ربقة الغل ، ولكن شيطانه هب – إذ ذاك – يتلمس له وسيلة شيطانية ويوسوس له قائلا – لا عليك يا صاحبي فهذه هي زوجة الحقل تجد إلى جانبها الحب والسعادة والمتاع ، وتلك هي زوجة المنزل تلمس في ظلها السكون والعون والخادم . ولا ضير عليك إن أنت جمعت بين الزوجين في آن ، فاستشعر الفاتنات حرمتها زماناً » فاطمأن الفتى للخاطرة ، والفتاة إلى جواره تطمع أن تكون للفتى وأن يكون هو لها . وما نمى لها – بعد – أن الفتى زوج وأب ، فراحت تحتال للأمر بطريقة شيطانية صاغتها يد الحضارة الصناع في دقة وإتقان .

وتناهى إليها – بعد حين – أن فتاها زوج وأب فما أزعجها الخبر وما أقعدها عن الغاية التي تصبو إليها فشمرت تبتغي الوسيلة في غير ضعف ولا خور . ولا عجب فإن في المرأة روح شيطان مارد درب على الختل والخداع والشر يبتغي الغاية فلا تعجزه الوسيلة .

وعمدت الفتاة إلى غايتها تلتمس الطريق ، ومن ورائها أمها العجوز تحفزها وترسم لها السبيل ، وتحدثها « لا بأس عليك فهو يندفع إليك في غير صبر ، ويهفو نحوك في غير أناة ، ولن يعسر علينا في أن يفتديك بزوجته وأولاده » .

وتظاهرت الفتاة وأمها على الفتى الساذج تحتالان من عقله ورجولته ، فألقى إليهما السلم في ضعف ، وقد أعماه الهوى الجامح عن الهوة السحيقة التي يوشك أن يتردى فيها .

ودخل الفتى دار الفتاة – لأول مرة – فألفى يد المدنية قد انبثت بين ثناياها ترتبها على نسق يثير الدهشة والإعجاب ، ووجد آثار النعمة قد تغلغلت في أعماقها فهي تتألق في كل مكان وتنبعث من كل ركن ، فانجذب لها قلبه وعقله في وقت معاً ، وبهره بعض ما يرى ويحس ، فتمنى – في أعماق نفسه – لو أن له مثل هذه الدار فينعم بما فيها من ترف وثراء ، ونسى أن بهرج الحضارة زيف لا قلب له ينبض ، وغاب عنه أن أناقة المدنية سراب لا ظل له يفكر به . وإلى جانبه أم الفتاة تفكر به في لباقة تخدعه عن أهله وتختله من نفسه

كم أنا أحس صاحبي بالحرية طفرة واحدة : الحرية التي لا تعرف الأخلاق ولا تؤمن بالكرامة ولا تسمو إلى الإباء . لقد انطلق الطائر السجين من بين قضبان القفص الضيق يبتغي الحرية والانطلاق فوجد في جناحيه الخمول وفي قوته الوهن وفي جلده الخور ، فما استطاع أن يرد عن نفسه المكر والخداع حين راحت عجوز من النساء توسوس له وهو يندفع على آثارها في حمق وغفلة .

والتاث عقل الفتى فانطلق – ذات مساء – إلى دار الفتاة التي أحب ليكون زوجاً لها ، وليكون رب الدار التي اجتذب لها قلبه وعقله في وقت معاً ، ولينفر من خطة زوجة فيها الوفاء والإخلاص وفيها الطاعة والاستسلام ، ليذرها وحيدة بين الصبية تعاني شدة الفقر وألم الوحدة ولذع الخيانة .

وشعر الفتى يوم أن خلا به وبفتاته المكان ... شعر بأنه دخل الجنة التي كان يطمع فيها ونسي الزوجة الأولى هناك يعصرها الضيق ويؤرقها الأسى وتمزقها الغربة . وعز عليها أن تعيش طويلا في هذا القيد فأرسلت إليه تقول « إذا لم تكن في حاجة إلي فسرحني سراحاً جميلا ودعني أسافر إلى أهلي في القرية ، فأنا هنا – كما تعلم – أجد مس الغربة والوحدة ولا أستطيع أن أنتشي بسوى رجولتك لأني بعيدة عن أهلي وعن ذوي قرابتي

أفتقد الدرن والساعد ولا أعرف الطريق . وأنت أخذتني من بين أهلي يوم أن أردتني لك زوجة ، واليوم – حين ماتت نفسك أهب شهاستك أن تدفعك لتراقني إلى هناك . وهذا حولاريب أمر هين لا أخالك تمن به على »

وانتفض الفتى للفكرة ، وجاء تاريخه الطويل يعرض نفسه وهو يسمع صرخات الدم وصيحات الدين ونوازت العقل ، يسمعها جيداً تتعالى في جلبة مخيفة لتوقظه من سبات عميق ران عليه شهوراً ، فأحس بالأزمة الكبرى ، وتبدت له أفانين المكر والخداع التي لفته بين طياته ، تنعيه من الصواب وتدفعه إلى الهاوية ، غير أن عزيمته الضعيفة ضعفت من أن تذر الفتاة التي أحب أو أن تهجر الدار التي آوته ، وتناوره أسبان ، ثم عقد شيطانه العزم على أن يسرح الزوجة الأولى .

ثم دخل الفتى الدار التي سعد بها زماناً ثم هجرها حيناً ، دار الزوجة الأولى .. وحاجا فتعالم تحوه الصبية الأبرياء يتعلقون به في شوق ، ويشمونه بالقبلات الحارة في شغف ، ويلصقون به في عناق طويل حبيب إلى النفس . وهاجت شجون الفتى الساذج وتيقظ فيه ليرى الأزمة الكبرى التي هوى في قرارها حين قم عليه الأمر ، فتصورت من عينيه عبرات والزوجة الأولى ترى ، فثارت عاطفتها الخالصة فاندفعت إلى حجرها تتوارى خلف الباب تضعف نفسها وبكاء قلبها ... تحدرت العبرات من عيني الفتى المسح على تاريخ قصير من الخيانة والجهول والأسى ، تاريخ ناح فيه مشاعره الأحياء بالثمن البخس ، فتاة ما فيها سوى بهرج الحضارة وزيف المدنية ، بفتاة خدعته فسرقته من زوجته وأولاده .

وأنت اللعبة التي تستتر وراء فنون من الدلال والأناقة والعطرية والعطر ... تستترت وراءها جهداً لتسرق الرجل من زوجته وأولاده .. بانت اللعبة تنتظر عبثاً عودة الزوج النمر ...

وطار الطائر السجين إلى قفصه حين آذاه النور وآلمته الحرية فتخبط بهما حيناً ثم ارتد إلى عشه الأمين : إلى زوجته وأولاده وهم نور عينيه وفرحة قلبه وبهجة حياته !

كامل محمود حبيب

تروتسكي

أحد مؤسسي النظام الشيوعي في الروسيا

للأستاذ أحمد بك رمزي

كان تروتسكي أول ضحايا « استالين » ، وفي مقدمة الذين اضطهدهم الشيوعية الروسية بعد وفاة زعيمها لينين ، مع أن تروتسكي أدى للثورة أجل الخدم . وليس لنا أن نتساءل ماذا سيكون موقف السوفييت ولا مستقبل النظام الشيوعي لو بقي تروتسكي حياً يرزق ، أو لو قدر له أن يحتل مركز الزعامة ، كما أنه ليس لي ولا لغيري أن يصدر حكماً في صالحه أو ضده ، وإنما أكتفي بأن أنظر إليه كرجل اضطهد وقتل ، وعمل أشد أساليب النشط على حريته ، وأبعد من محيط العمل السياسي والثوري في بلد يدعى أنه أقام الثورة الكبرى ضد الرأسمالية ، وحطم القيود والأغلال ، لكي يهب السعادة والرفاهية والعمل الصالح لأكبر عدد ممكن من سكانه : فإذا به يشطبه رجلا كان من أشد أنصار هذا النظام القائم الآن في السوفييت : خدمه كثوري وكاتب وخطيب ومؤلف ، ثم كانت مكافأته الملاحقة والنفي في تشريده وهو في غربته ، ثم قتله بصورة لا ترضي الإنسانية ولا يسلم بها قتل . فأنا إنما كتبت عنه أشيد به كرجل مثقف الى من أنصار النظام الذي أقامه غير ما يستحق .

. . .

بين « بولتافا » و « كيرسون » نشأ ليون دافيد وفتش برونشتاين ، هناك حيث المروج الخضراء والغابات ، وفي السهول التي يطلق عليها اسم « كروجان » والتي تحفظ اسم « نوبايا التتوى » أو نوبايسكايا بالروسي : هناك رأى الطفل اليهودي الذي حمل اسم « تروتسكي » النور ، إذ ولد في قرية يهودية تقع بجوار « كيرسون » في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٧٩ ، وتروتسكي اسم لا علاقة له بهويا نما اسم عليه ، ويدل اسم والده على تأثره بالجرمانية

ولو أن يهود هذه المنطقة يغلب عليهم أنهم من سلالة « الخزر » فهم أقرب ما يكون إلى الأسيويين أو إلى الشعوب الطورانية منهم إلى الشعوب السامية ، وإن كنت أعتقد أن ملامح تروتسكي تدل على انحداره من أصل إسرائيلي صميم .

ويقول تروتسكي في ترجمة حياته إن والده ينحدر من أسرة يهودية ، كانت تقطن قرية بجوار « بولتافا » في أوكرانيا ، — وهذه المدينة هي التي تنسب إليها في التاريخ القائد العثماني الشهير بالطبجي باشا ، وسحقه بولتاجي باشا ، الذي أسر بطرس الأكبر ثم فك حصاره . وقد هاجر والد تروتسكي متجهاً إلى الجنوب ومعه بعض المال ، فاشترى مزرعة بجوار مدينة كيرسون ، الواقعة على شواطئ البحر الأسود .

والمتتبع لتاريخ اليهود وفرقهم وسحنتهم ، يلمس من أول نظرة الفرق الكبير بين يهود البلاد الغربية ، إذا قارنتهم بيهود أوروبا ، ولكن هناك فريقاً ينفرد بميزات خاصة من يهود أوروبا هو فريق يهود الروسيا . إنهم عنصر قائم بذاته ، لأنه يأتي من بلاد لا تزال القرى والمدن فيها تحمل أسماء تقربية يهودية ، فهو من هذه الناحية يختلف تماماً عن غيره من يهود العالم لأنه يمتاز بشدة الراس والشجاعة . والغريب أن ينشأ صاحب الفكر الثوري في وسط غير عمالي ، فهو يقرر أن والده كان في سعة من العيش ، وأنه لم يذق قط في حياته شظف الحرمان ، وأن الثورة التي دعا إليها وكافح طول عمره من أجلها ، انتهت بحرمان والده من مزرعته وتشتيت أفراد عائلته الذين اضطهدوا في عصر القيصرية ثم من جيوش دنيكين وفرانجيل بحكم قرابتهم له طوال أيام الحروب الأهلية ، ولما جاءت جيوش البلاشفة اتهموا كرجال رأسماليين ، فكان نصيبهم سيئاً في الحالين .

* * *

إني لا أزال أتذكر جيداً ، كيف قرأت له لأول مرة في حياتي ، فقد كنا نقيم طول أيام الحرب العالمية الأولى في ضاحية المعادي ، وفي سنة ١٩٢٠ بعد انتهاء الحرب كنت بمحطة باب اللوق ، حينما وقع نظري على كتاب بعنوان « الثورة الروسية » بقلم ليون تروتسكي ، وهو على ما أذكر أول كتبه ، ورغم أنني كنت في السنوات الأولى بمدرسة الحقوق بمصر ، ومعلوماتي في اللغات الأجنبية كانت محدودة ، فقد اقتنيت الكتاب وقرأت فصوله التي تحدث فيها عن الثورة الروسية ، ومحاولات عقد الصلح بين روسيا من جهة ودول ألمانيا والنمسا وتركيا وبلغاريا من جهة أخرى . ولا أخفي القارئ أني تأثرت من كتابة تروتسكي وقلمه ، فانطبعت في مخيلتي الثورة وحوادثها ومآسيها ، وتعرفت على أسماء البلاد الروسية وأشخاص السوفييت ، فاستعملت كل ذلك في محادثاتي مع الكثيرين من الضباط الروس الذين جاءوا لمصر ، وكانوا يملأون شوارعها عقب هزيمة القوات الوطنية ، التي حاولت إخماد ثورة البلاشفة .

كان هذا أول اتصال لي بتروتسكي ، الكاتب المؤرخ للثورة الروسية التي قامت سنة ١٩١٧

* * *

ثم رأيته رأى العين ، وكان ذلك في استانبول حينما نفي إلى تركيا ، فقد كنت أتناول الغذاء في مطعم روسي يدعى « بيومل » حينما جاءت الصيفة وهي سيدة من الروس البيض ، وأشارت إلي بأن أنظر إلى مائدة عليها جماعة من الناس ، تحوط بها عدة موائد مشغولة برجال يظهر من سحنتهم أنهم من رجال الأمن ، ثم قالت : ها هو تروتسكي بين الجالسين قالت هذا والفرح يشع من عينيها . إنها كانت تنتظر هذا المصير لجميع رجال البلاشفة ، والعودة إلى وطنها حيث ذكريات الماضي ، إنها كثيرها كانت تحلم بالفردوس المفقود ..

ولما توجهت لتلك الناحية بناظري ، رأيت عن قرب الرجل الذي كتب الذكريات التي رافقتني في ذهابي وإيابي بقطار حلوان قبل ذلك العهد بأكثر من عشر سنوات ، رأيته جالساً أمامي على بعد خطوات مني ، فكان أول ما لفت نظري تلك اللحية الدقيقة على وجه أصفر اللون ، أظهر ما فيه النظارتان ثم العينان ، إن لهما لوناً حائماً بين الزرقة والخضرة الفاتحة ، أنه قريب الشبه بالصور المنحوتة على بعض المعابد المصرية القديمة ، والتي تمثل جاليات الأسيويين في هجرتهم من آسيا إلى أفريقيا ...

رأيته رقيق الجسم أقرب إلى القصر منه إلى الطول ، يحوطه شيء من التمرض والانكفاء على نفسه ، فهو قليل الكلام مع من معه ، مقتر على نفسه حتى في تناول الطعام .

جاء تروتسكي إلى تركيا بناء على اتفاق سابق مع السوفييت، بعد أن ضيق هؤلاء الخناق عليه إبتداء من أوائل سنة ١٩٢٨ ، فبعثوا به إلى أواسط آسيا حيث قضى سنة على حدود أراضي الصين ، ولما خفتت أصوات أنصاره وتبين للسلطات انه لم يعد ينفع ولم يعد يضر ، سمحوا له بمغادرة البلاد ، ووافقوا على أن يقيم بتركيا ، فنزلها في فبراير ١٩٢٩ واختار أن يسكن في منزل بسيط بجزائر الأمراء ، الواقعة أمام الشاطئ الاسيوي .

وكنا كثيراً ما نذهب لقضاء يوم بطوله في تلك الجزر الجميلة وفي أحد الأيام خطرت علينا فكرة زيارة تروتسكي والتحدث إليه، وجاء الاعتذار من لسانه بالتلفون رقيقا ، مما يدل على أن الزعيم قد أهمل كلمة الشرف ، على ألا يستقبل غير أهله وأخصائه في منفاه ، وهكذا رأيت تروتسكي وشاءت مني فرصة التحدث إليه والسماع لأقواله ونظرياته .

* * *

يحدثنا تروتسكي عن نفسه في كتابه عن تاريخ حياته فيقول ان الطبيعة قد قضت عليه منذ نشأته : أن يكون ثوريا إنقلابيا ، فهو قد ولد ونشأ وعاش وكافح من أجل أفكار ومبادئ وآراء معينة ، تمثلت في هيكله وتملكت نفسيته وملأت روحه فلم يستطع أن يحيد عنها ، أو يبعد عنها حولا طول السنوات التي عاشها .

وقال أنه نشأ وترعرع في وسط غمرات تعاليم الثورة ، فلم يشعر في قرارة نفسه بأنه ملك شعب من الشعوب أو جنس من الأجناس أو دين من الأديان ، فانتهى به الأمر أن أصبح أمميا ، أي ملكا للأمم كافة ، لا يعرف سوى مذهب العمالية ، هذه العمالية التي جعلت منه في النهاية بعد سنوات الحق بولشفيا ، يقود أكبر ثورة عمالية على الأرض في وسط بلاد تعد أكثر البلاد تمسكا بالرجعية .

وقال « أنه يؤمن بالثورة على حد أنها تغيير يطرأ أو عنيف يصيب الكيان السياسي والاجتماعي والدستوري ، نتيجة لتبدل الأسس الاقتصادية والإنتاجية لأمة من الأمم » وهو التفسير الذي وضعه كاوتسكي قبله في كتابه الثورة الإجتماعية .

ولكن زعيم الانقلاب الروسي ، كان يطرق في ماخلية نفسه أن أكثر من تسعة أعشار الشعوب الروسية عبدة ، وأن عنصر الفلاحين والمحاصيل والدخول على الجامات هو الذي مكنه من الحصول على انتصاراته الأولى : وقد كان إذ كسب الجولة الأولى . .

* * *

فما الذي ساعده على الوصول إلى مقام الزعامة بجوار لينين ثم ما الذي أزاله من مكانته ! إن القلم الذي يحمله تروتسكي ، كان ثوريا إلى النهاية في كل قطرة من مداده ، ... لهذا اقر الناس بأن كتابته هي أقوى أسلحته وأشدها ذكاء وأعمقها أثرا فهو قد بلغ أعلى المراكز وقدم للثورة أعظم الخدمات ، وأنشأ الجيش الأحمر وانتصر به في الحروب الداخلية وفي رد العدوان الخاص عن أراضي السوفييت ، ومع ذلك وضع في الصف الثاني بعد وفاة لينين ، وأبعد من المناصب التي يؤهله علمه وخلقه وجهاده لها ، فظل للمناقشة حينا حتى أخرج للناس كتابه عن ثورة عام ١٩١٧ ، فإذا أهم ما فيه سبعون صفحة يجعلها نقداً وتحليلا لحوادث ثورة أوكتوبر من تلك السنة ، كانت بمثابة تتويج لعمله الثوري الإنقلابي في الثورة الروسية ، حيث أبرز فيها ما قام به من أعمال ...

وهنا قامت قيامة الحزب الشيوعي عليه فسلقه وحمله بألسنة حداد أرسلها « لاستالين » محبا وكبيراءه في لجانهم ومجتمعاتهم :

« انه يضع المقاييس لنفسه ولأقرانه ، ويصور بقلمه الجبار صورته للناس ويشيد بعمله كمخرج من كل ذلك انه الصانع الأول وصاحب الفضل الفني في ثورة نوفمبر ولولاه هو لما قامت ثورة البلاشفة » .

ترى لو تركوه ماذا كان يحدث في أراضي السوفييت ؟

سؤال لم يترك له الوقت لأنه ما لبثت ان انقلبت الصحافة عليه وفي أنحاء الاتحاد السوفيتي تدعو الى جمع كتبه وحرقها وقالت :

« انه كشف النقطة الضعيفة في درعه ... ان القائد الكبير قد تملكه الغرور وهو داء وأعزاك لا يعرف طريق الولوج الى قلوب الثوار ، ان تروتسكي يحاول الا تثق به الناس وأن تخضع لعظمته الجماعات ، ان طابع الغرور والانانية وعبة الذات من بقايا العصور البائدة ، أنه رجال الثورة يعيشون من أجل الثورة لا من أجل أنفسهم » . ثم تساءلوا ...

« من هذا القزم الذي يحاول أن يضع نفسه على مقعد الزعماء الخالدين ؟ فيحط من قدر اخوانه وزملائه في الجهاد ، ويحاول أن يجعل من مقاييس الثورة المبتذلة من تطور التاريخ وكفاح السوفيت وتأييد الجماعات ، هباء ، لا رضاء نفس متحجرة متوددة ضيقة ...

« انها نفس تذهل على عاتقها ان تحط من جلال عمل كبير ، وان تنسب الى جهودها إخراج المستحيل والوصول إلى عظائم الامور وأسميها وانه « لولاها لما قامت للثورة قائمة » .

« ان هذه النفس مريضة وفيها بقايا الإنسان الرجعي » .

ويصدقني القارىء اذا قلت ان تروتسكي لقى جزاء سنمار بعد هذه الحملة التي جعلته عدواً للنظام التام الذي أخذ يتتبع أنصار مواتياه ويبيدهم واحداً بعد الآخر من مناصب الدولة .

ثم جاءت الخاتمة . نعم ان الرجل الذي أفنى عمره في سبيل الثورة وأداء سأ احتضار والده ، وهو يرأس لجنة شؤون الحرب بقصر الكرملين ، لم يشأ أن يوقف عمل اللجنة ليودع والده الوداع الأخير ، بل استمر في رئاستها يناقش أعضاءها .

وجاء وقت دفن أبيه فلم يشأ أن يقوم من مقعده . أنه يعتبر نفسه قد تحرر من أمراض الرجعية ، ويريد أن يضرب بنفسه مثلا لما يجب أن يكون عليه رجل الثورة الذي لا تشغله التوافه ولا تجد العواطف أو الواجبات مدخلا اليه ، ولكن ماذا كانت خاتمته ؟ كانت النفي والتشريد ثم القتل بعيدا عن الثورة ، وعن الفردوس الذي تصور أن يقيمه بيديه ، وانتهت حياته في المكسيك ، ولم يحظ برثاء أو تقدير من هذا النظام الذي أقامه وتعهده وكافح من أجله ...

لقد قرأت خبر نكبته ومقتله ووضعت أمامي ما كتبه هذا الزعيم في أوائل الحكم الشيوعي : —

لقد كان من نتائج هذه الحرب (١٤ — ١٩١٨) أن تزعزعت أركان الرأسمالية فأخذت تنهار ، وها نحن نبرز إلى الوجود بجرأة وعزم فلا يمكن لقوة في العالم أن تقهرنا . ألا يشبه هذا ما يقوله دعاة السوفيت اليوم ؟ أنهم يحلمون بالثورة الكبرى كما كان يحلم تروتسكي ، ويرددون قوله : إن السور المحكم الذي يحاول الأعداء من قوى الاستعمار والرأسمالية أن يحيطونا به ، ستحطمه تحطيما ... أنهم سيأخذهم رجة واحدة وسوف تلبي الجموع دعوتنا ، وتأتي صفا صفا الينا ، لإنشاء العالم الجديد ، بإرادة لا تعرف التراجع ، لأن القوة العمالية المركزة تحت عزيمة ثابتة لن تقف أمامها عقبة ، ولن يحول دون انتصارها حائل . وهكذا استمر الزعيم يتنبأ كنبوءات بني اسرائيل فقال : « ألا فاعلموا ، أن التاريخ يحارب في صفنا ، والزمن حليف لنا . إن الثورة الاشتراكية ستنتصر حتما في كل من أوربا وأمريكا مهما بعد الزمن أو قرب ، وما الزمن في بحوث شيء من ذلك . لقد استمرت نشوة الظفر تروتسكي واذنابي الشيوعية يغرق في غمرات الأحلام والآمال ، وفي واديو موسكو ردد نبوءات تروتسكي ثلاثة وثلاثين عاما ، ولم تقم الثورة العالمية الكبرى ، ولم يرفع الجوع المقارع في رقاب الطبقات الحاكمة ؛ لقد كان تروتسكي ينعى العالم بما رأته عيناه في روسيا ، فاذا بها تتفرد وحدها في طريق والعالم في طريق آخر : —

لقد مات تروتسكي ، وإذا بأحلامه أبعد من التحقيق اليوم من سنة ١٩٦٧ ، وإذا نحن في بداية النهاية . إن الثورة التي أحسن أداؤها من كانت في مدرسة بالعاصمة الروسية سنة ١٩١٧ قد خدت وهي تتطور وتسير نحو الانكماش ، وقد يأتي يوم تسير فيه إلى المنفى كما سار هو من قبل .

كان كارل ماركس ولينين من جبابرة الفكر ، وكان تروتسكي من جبابرة الثورة ، وقد تركوا من الانقاض والخرائب في الروسيا وغيرها ما يشغل جيلا . إنها خسائر المادة ، أما ما تركوه من الآلام وضياع الآمال فلا سبيل لإصلاحه . إنها كانت تجربة قاسية دفعت ثمنها الانسانية غاليا » وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم رشدا » .

محمد رمزي

ما رأيت وما سمعت

في سورية ولبنان

للأستاذ حبيب الزحلاوي

— ٣ —

أجملت في مقالي السابق بعض المسائل الهامة التي تدور في سوريا اليوم، وقد كان من الضروري شرحها وتبسيطها ليقف القارئ على حقيقتها، أما الآن وقد زالت الأسباب التي ألجأتني إلى الإجمال دون التفصيل، وذلك بنقل شركات الأنباء أخبار الاعتداء على العقيد أديب الشيشكلي زعيم الانقلاب الثالث والمؤامرة التي دبرت لرئيس الوزارة والمجلس، فقد صار من الواجب علي أن أتبسط في الشرح، لاعتقادي بأن الأحداث الخطيرة قد لا تقف عند حد إطلاق الرصاص على ضابط كبير، بل هي أعظم وأخطر من التآمر على حياة وزير أو رئيس.

ليست سياسة الحكم، ولا حب الاستئثار بمقاعد الحكم، ولا اختصام الأحزاب على موارد الكسب من طريق الحكم، هي سبب الاضطراب والقلق والخوف الذي يحسه كل سوري، ولا هي العثرة في طريق الاستقرار المنشود، وإنما مرد ذلك إلى هوة قائمة بين جيلين يرى الواحد منهما ما لا يمكن أن يراه الآخر تعصباً وعناداً، وينكر عليه كل عمل يعمله أولياؤه ومنتحلوه لا لأن أعمال هذا أو ذاك فاسدة أو صحيحة، بل لأن الجيل الجديد يحمل روحاً لا تقوم المثل قائمة بدونه، وأن هذا الروح لا أثر له البتة في نفوس وعقول أبناء الجيل القديم. ومن العجب العجاب أن ضباط الجيش قد حشروا ذواتهم حشراً في هذه الخصومة الطبيعية، لا لاعتبار أنهم يبعدون من المؤثرات الثقافية ودوافعها، بل لأنهم في مستوى عقلي يجعلهم غرباء عن أبناء الجيل المتقلب بين البوهة والتحجر، وعن ابن الجيل الجديد المتوثب للعمل المجدي.

صحيح أن السوري من أبناء الجيل السابق قام بأعمال باهرة مجيدة في ميدان الكفاح والدفاع أيامئذ، بعد أن أدى جهاده للغرض الذي صبا إلى تحقيقه وهو «الاستقلال». ولكن ما قيمة هذا الاستقلال — في نظر ابن الجيل الجديد — ما دامت الأهواء السياسية تتقاذفه وتتلاعب به وأن المتلاعب الدائم هو الرجل الذي ضحى وكافح لنواله؟؟!!

يحسن أن نرفع اللثام قليلاً لنبين طرفاً من وجه المسألة المشكلة التي أحدثت الهوة بين الجيلين، أي الهوة المستحكمة بين الوالد والولد، فلا بد لنا أن نجد أن مسألة «سورية الكبرى» هي المشكلة الكبرى والسبب الأوحد في كل ما وقع ويقع وسيقع وسوف يقع بين أبناء سورية من جهة واحدة، وبينهم وبين أبناء العراق وشرق الأردن ولبنان، ثم ولبنان أيضاً من جهة ثانية، وأن الهوة أو المشكلة ستبقى قائمة ما دامت سياسة الاستعمار البريطاني لم تبلغ كل أغراضها بعد، وما دامت الأيدي «العربية» المأجورة لأجل تحقيق هذا الغرض عاجزة عن تحقيقه.

ما هو هذا الغرض الذي ترمي إليه سياسة الاستعمار البريطاني؟

ليس الرد على هذا السؤال بالعسير حتى على رجل الشارع في دمشق وبغداد وعمان وبيروت، لأن سياسة الاستعمار البريطانية التي جعلت من الوطن القومي اليهودي «دولة إسرائيل» قبر الشرق بهيئتها من الهول بعد، وجعلت من لبنان «جمهورية مسيحية» ضمن سلامتها وشهد بقاءها في وضعها الحالي، كل من انجلترا وأمريكا وفرنسا، تريد أن تجعل من «سورية الكبرى» مملكة إسلامية هاشمية.

من يراجع خطب المطران مبارك، بل من يراجع الكتاب الأزرق الذي رفعه السيد نوري السعيد إلى وزير الدولة البريطاني مستر كايسي، والذي تطوعت جمعية «الاتحاد العربي» في مصر بطبعه وتوزيعه على نفقتها، هذه الجمعية التي تدعو إلى «اتحاد عربي إسلامي» يرأسها المرحوم توفيق دوس باشا الشيخلي، ويدير أعمالها بحنكة ونشاط «الشيخ المحترم» خليل ثابت بك رئيس تحرير المقطم الأسبق يعاونه الخواجه أرقش أيضاً، أقول من يراجع كتاب السيد نوري السعيد يجد أسباباً اقتصادية واجتماعية وسياسية وجيهة دعته إلى رفع تقريره إلى وزير الدولة البريطاني بشأن «سورية الكبرى» وبه يقول «... ويحتاج العراق إلى منفذ إلى البحر الأبيض المتوسط لنفطه ومنتجاته، وتحتاج فلسطين التي تتحول بسرعة إلى قطر صناعي إلى أسواقنا

لتتجاوزها ، وتحتاج إلى نفط ووقود لمعاملها . ويكفي دوقفه يهذه الأسباب الاقتصادية لحاجة سوريا الكبرى لتجد فلسطين أي دولة إسرائيل التي تحولت إلى قطر صناعي تحتاج مصانعه إلى نفط العراق ويمسك من السبب الآخر الذي يجعل من سوريا الكبرى مملكة عربية هاشمية تقف سداً في وجه المملكة السعودية العربية التي يتحكم الأمريكان في نفطها ويسم أهلها بالدولار والذهب ، ناهيك بوضع شرق الأردن السياسي ومعاهدته المعهودة مع الانجليز ، والفرق بين وضع سوريا المستقلة السياسي .

لقضية سوريا الكبرى جوانب أخرى خلاف الجانبين السياسي والاقتصادي ، ولعل الجانب العاطفي فيها هو أكثر الجوانب حساسية لاتصاله المباشر بالدين الحنيف ، ولاتصاله بمجد العرب الذي يتشوق كل مسلم إلى استعادة عزه وسلطانه .

من هذا الجانب الحساس ، يتقدم العراق المسلم من سورية المسلمة ، ومن هذا الجانب الشعوري تتقرب وفود جبهة « الاتحاد العربي » وهم مسيحيون كما عرفت ، من أبناء سورية المسلمة ، ومن هذا الجانب الديني المقدس يتودد دعاة البيت الهاشمي إلى رجالات سورية ، ولكن إلى أي فئة من أبناء سورية يتقدم هؤلاء الدعاة وسورية كما عرفت منقسمة إلى قسمين ، جيل قديم يضع رجله في حفرة القبر ويتطلع عينه إلى متع الحياة الغرور ، وجيل جديد يؤمن بمستقبله ، ويعمل له ، ويكافح من أجله ، ويشهد جلاء ليلة ليلة ، وهو يجد في تكوين ذاته تكوينا « إيدولوجيا » يمده من مخاطر الخوف والقلق واليأس ، ويهديه من الاعتماد على النفس بالتربية السياسية وتقويم الأخلاق .

هنا نرى الدعاة المأجورين يتخطرون في مشيتهم ، ويشعرون بأنوتهم ، ويمشون بشاشة ناصلة اللون منسابة يتقدمون من الشيوخ السوريين الراسخين أرجلهم في حفر القبور يحملون لهم الذهب الانجليزي ، والجنيه الانجليزي ، والتعهد الانجليزي ، ثم الأجر العظيم المرتقب عند الله في اليوم الآخر لسكل عامل في خدمة الدين وعز الاسلام ، ومجد العرب !!!

ونرى هؤلاء الدعاة أنفسهم يرتكسون على أعقابهم بوجوه شاحبة كالحة كما حاولوا الدنو من الشباب المسلم ، الذي لا يخامره شك في أن هؤلاء الدعاة ، إن هم إلا خدام أجراء لأسياد قاسين مستترين وراء ستار شفاف « هم الانجليز » الذين لا يريدون بهذا الشرق العربي خيراً إلا الخير الذي يعود على رب العزة أو الانطاكية .

هنا يصطدم الولد بالوالد في حدود التقاليد العربية وعادات الأسرة . هنا تقف الفتاة إلى جانب أخيها تشد عضده وتوازره وتساعده في رد أبيه إلى صراط الوطن ، ورمز القومية ، وشرف الانسانية ، ودفع غائلة الأجنبي المعتدي .

هنا يقف الوالد من أولاده ، يصحك من اعتزازهم بالسلم واعتزازهم به ، ويسخر من جدهم في أمر الوطن والقومية ، ويسخط على هذا الجيل الذي لم يتذوق ما تذوقه هو في ميدان الجهاد والقتال .

ليست الفوارق بين جيلين ، ولا اصطدام عقليتين ، ولا اصطراع الأحزاب ، ولا انصراف التاجر والزارع والعامل إلى جمع المال ، ولا قرارات النواب ، ولا إلزام السلطة التنفيذية الأمة بقرارات النواب ، ولا وقوف الجيش يساند هذه الفئة من أبناء الأمة وينصرها أو يخذل تلك الفئة ويتخلى عنها ، ليس كل هذه الأمور مجتمعة هي التي ستقضي أو ستحول دون وقوع « شيء أجل » منتظر مرتقب ، إنما الذي سيقضيه أو يحول دونه أي دون « اضطراب داخلي » هي القوة العسكرية التي ستفرض سلطانها فرضاً تعسفياً على سورية والسوريين ، فتهد فرضاً قوامه الأمة ، وتقيم عرشاً يليس في وسع الأمة إنكاره أو التنكر له ، وأن هذه لا تكون حتما عراقية ولا أردنية ولا سورية أيضاً بل تكون من المرتزقة من جميع هؤلاء ، والله موعد ظهور هذه القوة في ميدان العمل ، ليس رهنا بمشيئة الأمم العربية ، إنما هو رهن بالاتفاقات وتبادل المنافع ، والظروف السانحة ، وانتهاز الفرصة . وأزعم أن الانجليز لا يغفلون بسرعة هذه الخطوة ، فهل في وسع شباب سورية المجاهد دون وقوع هذه النكبة ؟

حبيب الزحلاوي

رسالة الشعر

زائرة الحمى

« إلى شاعرة العواطف النبيلة الآنسة الفاضلة
فدوى عبد الفتاح طوقان .. تحية إعجاب وتكريم »

للأستاذ عبد الرحيم عثمان صارو

أهلا زائرة الحمى ! . أهلا بمقدمك الأغر !
بأحب شاعرة تطالع خاطرى بأحب شعر
ينهل من شفق العواطف والخيال المستمر
أنى حللت من الحمى .. حيتك جانحة وعين
وهفت تقبل خطوك الحانى شفاه الضفتين

* * *

أهلا بزائرة الحمى .. عفوا .. فلست من الزوائر
لست الغريبة من حماى ، وإن تباعدت المشاعر
عفوا .. فأنت شقيقتى فى الروح ، فى نسب الشاعر
وحماك ـ والمحق عليه من الذئاب ، من الدخيل
هو ما ملتـقى هواى ودمع أهداب النخيل

* * *

أختاه ! أية فرصة طافت على وتر القلوب ؟
فترنمت خفقاتها ـ طربا ـ بمقدمك الحبيب
أهوى أعبر من شعور النبـل بالكلم الرحيب
فأرى مقاليد البيان لدى ماسية مدله
فلتعذريني إن عييت فلم أبن إلا أقله

* * *

لوددت لو أنى قدمت إليك من جوف الصعيد
أروى الشواطئ بالخلائق والخواطر النشيد
لكنها بعض القيود ، ومحض أغلال الوجود
وشواغل نصبت حطاى .. وزهرتاى الآدمية
وهما رفاقي فى الحياة .. همـا وأنسك الشجية

* * *

أختاه ! هذى مصر فى حلل الصباحة والرواء
والنيل نشوان الشفاه يتيه من فرح اللقاء
فترشفى كأس الهناء .. ورددى لحن الصفاء
وانسى به شكوى الزمان فقد يؤوب إياب نادم
قدح القادر لم يزل متنقلا فوق البراجم

* * *

لم تشتكين من الحياة .. أوت آلاى بنفسى ؟
لم تشتكين من الزمان ، وما عدوت حدود أمس ؟
لا تنسى لليأس ، ما خلق الشباب لدمع يأس
من كان مثلك فى يديه مفاتن الدنيا الجميلة
جعل السرة فى الحياة وفرحـة الدنيا سبيله

* * *

أختاه ! ألف تحيـة لك من قلوب تخفق
لو كان ينبوع البيان على فمى يتدفق
انفاضت ما زخر الفؤاد به وألوى الأعناق
إن لم تكن كل التى ذى ، فلتكن رمز التى
شنان بين جناحك الضاق ، وخافقى أنا

* * *

أهلا بزائرة الحمى ، أهـلا بمقدمك الأغر
بأحب شاعرة تطالع خاطرى بأحب شعر
ينهل من شفق العواطف والخيال المستمر
أنى حللت من الحمى ، حيتك جانحة وعين
وهفت تقبل خطـوك الحانى شفاه الضفتين

« طنطا » عبد الرحيم عثمان صارو

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

إلى معالي وزير المعارف في العراق :

سيدي الأستاذ

سألت عنك ، فقيل لي إنك أحـــد هؤلاء الممتازين خلقا وثقافة . وحين علمت هذه الحقيقة ، قدقررت على النور أنك تقرأ « الرسالة » ، وتألف صرير القلم ، وتستجيب لدعوة الحق ، ولهذا كتبت إليك . فليس أحب إلى من أن أتحدث إلى رجل ممتاز أو أنظر إلى كتاب ممتاز ، لأن كليهما لن يضيق بصحبة الأديب ولن يتنكر لرسالة الوفاء !

وأحمد الله على أنك في المكان الذي أحب لأمثالك من الممتازين أن يكونوا فيه ، وأشكر للعراق ثقته في أخيار القوم يحملون ألوية العلم ويشرفون على تربية الجيل ، ويباشرون في أرض الرافدين نهضة فكرية يشتد منها العود ويشتد التمر . من حقك على إذن ، ومن حقك على « الرسالة » ، ومن حقك على كل صاحب قلم يربطه بك سبب من أسباب الفكر أو صلة من صلات الثقة أو آصرة من أواصر الجوار ، أن يبث إليك بأخلص التحية وأصدق التقدير ، مع الأمل المصحوب بحرارة الرجاء .. ومن حق عليك ، وحق « الرسالة » ، وحق هؤلاء الذين أتحدث إليك باسمهم هنا وهناك ، ألا تخذل ثقتنا بك ورجاءنا فيك ، لأن القضية التي نعرضها عليك هي قضية الشعر المظلوم والحق المهضوم والفن الشهيد ، فوق ثرى هـــذه الأرض الطيبة التي أنبتتك .. أرض العراق الحبيب !

قضية اليوم التي نتقدم بها إلى ساحتك ، هي قضية الشاعر العراقي المطبوع الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري .. ترى هل استمعت إلى صرخته التي أطلقها منـــذ قريب على صفحات « الرسالة » ؟ إننا نرجو أن تكون هـــذه الصرخة قد حطمت السدود والقيود ، وعبرت الآماد والأبعاد ، لتصل إلى سمعك وتنفذ إلى قلبك .. وندعو الله أن يكون سمعك قد التقط صرخة الشعر وأن يكون قلبك قد اهتز لزفرة الشاعر ، كما التقطتها الأسماع هنا واهتزت لها القلوب !

مصدر هذه الصرخة يا سيدي هو أن العراق — ممثلا في شخص وزير المعارف الأسبق السيد نجيب الراوي — قد عطف يوما على عبد القادر فأرسله إلى جامعة باريس ليطلب فيها العلم .. وقبل أن أمضي في طريقي لأعرض عليك أدوار هـــذه القضية ، أود أن أقف لحظة لأخفض قلمي تحية للسيد نجيب الراوي ، هذا الرجل الفاضل الذي يسعدنا نحن المصريين ويثلج منا الصدور أن يكون اليوم بيننا ممثلا لبلاده . أخفض قلمي تحية له لأنه عطف على عبد القادر حين لمس في شعره الموهبة وطالعته منه دلائل النبوغ ، فأشفق على الفن أن يختنق في الظلام فأخرجه إلى رحاب النور ، وبعث به إلى باريس ليغمر على نفقته الخاصة .. لم يضن السيد نجيب الراوي على الشاعر بماله ، بل جعل من هذا المثال مثلا كريما لأصحاب المواهب والملكات . وأوشك أن يزيد من فضله حين عزم على أن يشرك الدولة في تقدير رسالة الفن ، وذلك بأن تمنح وزارة المعارف هذا الشاعر منحة سنوية تعينه على استكمال دراسته في أروقة السوربون . ولكن الأقدار تدخلت فتحول بين الوزير وبين أن يحقق للشاعر ما كان يتطلع إليه من الأمل المرتقب في ظلال الوعود .

استقالت الوزارة التي كان فيها السيـــد نجيب الراوي وزيراً للمعارف ، قبل أن يتم التصديق على الميزانية التي أدرج فيها الوزير تلك المنحة السنوية للشاعر ، وأعقبتها في الحكم وزارة السيـــد توفيق السويدي التي أحلت محل السيـــد الراوي وزيراً آخر هو السيد سعد عمر . ومن باريس كتب الشاعر إلى الوزير الجديد يشكو إليه حاله ، حال المكافح اليائس في طلب العلم حين تقسو عليه الحياة وهو غريب الأهل والدار ، حال المواطن الصادق حين ينزع إلى وطنه مطالبا ببعض ماله على هـــذا الوطن من حقوق ! ولكن العراق ممثلا في شخص الأستاذ سعـــد عمر لم يستمع لصرخة الفن الشهيد يطلقها عبد القادر ، فأغلق دونها منافذ القلب والسمع والشعور .. واستمر عبـــد القادر يكافح ، يكافح وحيدا ، لا يد بالعون تمتد إليه ، ولا صديق بالذكر يعطف عليه ، ولا نسمة رخية من أنسام الوطن البعيد تهب من حوله جناب

الحياة . وحين هذه آخر متعة من فيض السيد نجيب الراوي ، وآخر أمل في إنسانية السيد سعد عمر ، وآخر مورد من موارد الرزق الشريف ، وآخر قطرة من سيل العرق والدموع ، فقل راجياً إلى العراق .. فقل راجياً ليبكي « شبابه الضائع » على صفحات الرسالة !!

واليوم ، تنطلق هذه الصرخة المدوية وسائل الأستاذ خليل كنه وزير المعارف في العراق . ماذا أقول لهذا الرجل الممتاز وأبصارنا شاخصة إليه وأفكارنا متعلقة به ؟ أقول له تلك الكلمات التي قلتها في هذا المكان منذ أيام ، وهي أن عبد القادر وتر من الأوتار الصادحة بأنغام الحق والخير والجمال ، فماذا يريد العراق لهذا الوتر أن تخمد أنغامه وهو يغني له ويغني به ؟ أمر يضيق بصوت الحق فلا يسمع ، ويعمى الخير فلا ينظر ، ويسر الجمال فلا يطرب ، وبصرخة الفن الشهيد فلا يستجيب !! إنها مأساة .. مأساة أن أرى العراق يحول بين أحد شعرائه وبين نور الحياة ، وهو بهذا النور ضنين ، لوطنه أقباس الأمل وبشائر الرجاء !

إننا نعيذ العراق من مثل هذا الإبهام في عهد هذا الرجل المثقف الممتاز .. خليل كنه ! إن عبد القادر يا سيدي لا يطلب منكم منصباً من المناصب ، ولا لقباً من الألقاب ، ولكنه يطلب منكم أن ينتزع من مناهل الحياة ، وهذا — كما قلت أيضاً بالأمس — هو أقل ما يجود به وطن على فنان !

ترى هل أخطر لهذا الشاعر خبراً عن حديث ؟ إنني أريد أن أسجل لك هذه المنة على صفحات « الرسالة » ، وأذهب إلى أبعد من هذا حين أريد أن يسجلها لك تاريخ الأدب .. صدقني إن تاريخ السياسة ليغفل أحياناً عن تسجيل بعض المآثر لبعض الممتازين ، ولكن تاريخ الأدب من الوفاء بحيث لا يغفل عن أمثال هذه المآثر حين يعرض لها بالذكر الجميل . وهنا هو موقف المؤرخين من وزير المعارف المصري محمد عجب ، حين نقل من مآثره التاريخ الأول وذكرها التاريخ الأخير .. محمد عجب الذي أكرم الفن في شخص حافظ ابراهيم ، حين انتشله من مهاوي البؤس فشكره تاريخ الأدب وعطر بعطر التقدير حلته وذكراه !

إن تاريخ الأدب العربي الحديث لا يذكر حافظاً إلا وذكر في مجال الحديث عنه محمد عجب .. لأن هذا الرجل الكريم كان نفحة صادقة من نفحات الكرامة الخالية في مصر : الكرامة الرقيقة الخلق والشامخة القيم ، حين تنشد في ضوء المثل العليا أقدار الرجال ! وأي وفاء للخلق وأي إخلاص للقيم أصدق من أن يمد هذا الوزير المصري يد العطف والرحمة إلى حافظ ابراهيم لينتشله من حياته المشردة في الشوارع والقهوات ، إلى حيث يوفر له من رغد العيش واستقرار النفس وراحة الجسم ما يليق بمكانة شاعر .. هناك حيث قدر لحافظ ابراهيم أن يكون مديراً لدار الكتب المصرية !؟

إننا نقدم هذه القصة الخالية لمعالي وزير المعارف في العراق .. نقدمها والأمل يملأ نفوسنا بأن التاريخ يمكن أن يعيد نفسه ! تاريخ الأدب العربي بعد أن تنصف وزارة المعارف العراقية هذا الشاعر ، في اليوم الذي تخصص فيه بعض صفحاته لتحدث عن مثل نادر من أمثلة الكرامة المثلية : ما محمد عجب هنا وخليل كنه هناك !!

إن التاريخ السياسي كما سبق أن قلت ، قد يسهو عن أن يثبت هذه المأثرة لمعالي الأستاذ خليل كنه . لأنه تاريخ لا يسلم من أن تعبث بسطوره يد الأهواء والأغراض .. أما تاريخ الأدب يا معالي الأستاذ ، فهو أشرف قصداً وأنبل غاية ، وأكثر ثباتاً على الزمن وصموداً على الأيام !

لحظات مع الرسام الفرنسي « بيكاسو » :

طالعت في العدد (٩٠٢) من « الرسالة » ما كتبتموه رداً على الأستاذ مختار العطار الذي يقول عن الرسام العالمي « بيكاسو » إنه أسباني ، وتخالفونه بقولكم إنه أسباني المولد ولكنه فرنسي النشأة ، وتجنس بالجنسية الفرنسية منذ أمد بعيد ، وأن أسبانيا اليوم لا تعتبره واحداً من أبنائها ولا من رعاياها .

ومع اعجابي بكم واحترامي لكم ، أقول إنه لم يجانب الحق في رده عليكم ، ذلك لأن « بيكاسو » قد ولد عام ١٨٨١ وتلقى الرسم من والده ودرس في مدرستي مدريد وبرشلونة للفنون الجميلة . وفي عام ١٩٠٠ سافر إلى فرنسا ، إلى أن أمضى تسعة عشر عاماً في أسبانيا وأقام بفرنسا نهائياً وتجنس بالجنسية الفرنسية كما تقولون .

أما قولكم بأن أسبانيا لا تعتبره اليوم واحداً من أبنائها ولا من فنانيها فهو قول يخالف الواقع ، لأنه لو كان كذلك لما عرضت الحكومة الأسبانية بعض لوحاته في معرض الفن الأسباني هذا العام مع زمرة الفنانين الأسبان .. إننا حين نقول إن « بيكاسو » أسباني نكون أقرب إلى الصواب مما لو قلنا إنه فرنسي . وختاماً لكم احترامي وتحياتي .

مصطفى أحمد

طالب بالفنون الجميلة العليا قسم التصوير

أشكر الأديب الفاضل أدبه في الخطاب واهتمامه بالتعقيب ، وأقول له : إن هذه المعلومات التي حملها إلى رسالته عن الرسام السريالي « بيكاسو » معلومات لا نعارضها من الناحية التاريخية ، ولكنها في حاجة إلى أن نزيل عنها الغبار من الناحية الفنية ! لقد قلت عن « بيكاسو » إنه أسباني المولد ولكنه فرنسي النشأة ، ومع أني أعلم أنه أمضى في أسبانيا تسعة عشر عاماً من سني حياته التي أشرفت على السبعين ، مع هذا فقد قلت ما قلت لأن نشأة الفنان لا تقاس بهذه الفترة القصيرة التي لا تصنع فناً ولا تعلي قدراً ولا تسلك إسماً من الأسماء في عداد المشهورين .. فإذا قلنا إن « بيكاسو » فرنسي النشأة ، فإنما نعني النشأة « الفنية » الصحيحة التي تهيء للفنان أن يكون فناناً ، له إسمه وشهرته ومكانته ... ومعنى هذا ، أن تلك الأعوام التسعة عشر التي قضاها « بيكاسو » في أسبانيا ، تعد بالنسبة إلى الحياة الفنية الحقة « مولد فنان » ؛ ولكن تلك الأعوام الخمسين التي قضاها في فرنسا هي التي تعد بالنسبة إلى تلك الحياة « نشأة فنان » .. ترى هل فهم الأديب الفاضل وأنا أحدد الفوارق الفنية بين « المولد » و « النشأة » في حياة الفنانين ؟ !

أريد أن أقول له إن شهرة « بيكاسو » الواسعة ، وصيته اللامع ، ومذهبه الكلاسيكي القديم ومذهبه السريالي الجديد ، كل هذه القيم الفنية لم يقدر لها أن تكون حقيقة ملموسة إلا في ظل هذه النشأة الفرنسية التي امتدت خمسين عاماً .. أما قبل ذلك ، فقد كان صبياً صغيراً يتلقى الأصول الأولى لفن الرسم في المدارس الأسبانية ، وهي أصول لم تستطع أن تخلق الفنان الذي طبقت شهرته الآفاق . إن التسعة عشر عاماً لم تصنع « بيكاسو » الذي يعرفه الناس ، ولكن الخمسين عاماً هي التي صنعت المعجزات .. هو إذن أسباني المولد ولكنه فرنسي النشأة ، ولا أحب للأديب الفاضل ، طالب الفنون الجميلة ، أن يجادل في هذه الحقائق الفنية !

أما عن معرض الفن الأسباني الذي أقيم في القاهرة فقد زرته وشاهدت ما فيه من لوحات .. وأود أن أقول للأديب الفاضل إن بعض لوحات « بيكاسو » قد أقحمت إقحاماً في هذا المعرض ، بقصد الترويج للفن الأسباني على حساب هذا الفنان الفرنسي .. لأن رجلاً مثل « بيكاسو » قد تجنس بالجنسية الفرنسية منذ خمسين عاماً ، وسجل إسمه ضمن مجموعة الرسامين الفرنسيين في متحف « اللوفر » بباريس ، ولا يتحدث عنه « سارتر » و « جان كوكتو » إلا ويقولان عنه : « الفنان الفرنسي » ، مثل هذا الرجل « تتمسح » فيه الحكومة الأسبانية حين تقحم بعض لوحاته في معرض الفن الأسباني بقصد الترويج لهذا المعرض بلا جدال !

وأزيد على ذلك فأقول : إن الحكومة الأسبانية قد أقدمت على أن تفعل ذلك في مصر ، ولا أعتقد أنها تستطيع أن تقدم على مثل هذا العمل في بلد مثل إيطاليا أو فرنسا أو انجلترا أو غيرها من البلاد الأوربية ... ذلك لأن لوحات « بيكاسو » المفتوحة ــ ولا أقول المرسومة ــ في متحف « اللوفر » مسجلة كما سبق أن قلت ضمن مجموعة الفنانين الفرنسيين ، لأن صاحبها فرنسي باعترافه واعتراف الحكومة الفرنسية واعتراف الدوائر الفنية في العالم . وقد يسألني أحد القراء لماذا تحفظ لوحات « بيكاسو » في متحف اللوفر بباريس دون أن تعرض ، فأقول له : إن عرض اللوحات في هذا المتحف العالمي غير جائز للفنانين الأحياء ، فإذا ما انتقلوا إلى العالم الآخر فقد أصبح من حقهم أن ينتقل إنتاجهم الفني من « المخزن » إلى « المعرض » ، أعني من مكانه في « الدواليب » إلى أمكنته من الجدران .

شعراء في الميزان :

أنا من المؤمنين بأن النفس الإنسانية هي الحوض ، بل المحيط الذي يجب أن تغترف منه أقلام الشعراء ، وأن الوجدان هو الأفق الذي يجب أن تضرب فيه جناح الشعر .. ولا أدري بغير هذا الفن الذي يؤدي عن النفس وكنت أومن بغير هؤلاء الفنانين الذين يغترفون من الوجدان . ولا أكاد أدري أي شيء هذا الذي يحملني أعتقد أني جئت إلى هذه الدنيا ، وفي هذا الإيمان ؛ وأني

سأنصرف عنها ولا إعنات لي في الأدب عامة والفن خاصة غيره!

فلا يعجبكم شيء من ذلك كله، ولولا أنها الرسالة الأولى، أو الشكوى الأولى، أكتبها إليكم، لسبق القلم إلى ما يريد دون توطئة له بهذه الكلمات. غير أني قد قرأت تعقيبكم المعجب على رسالة الآنسة هجران الأخيرة، فوقفت فيه عند رأي من آرائكم تبدونه في بعض الشعر، وحكم من أحكامكم تطلقونه على بعض الشعراء.

بدا لي أنكم بهذه الكلمة تميزون في شعر «الأداء النفسي» بين لونين من الشعر: لون يرتفع فيه الأداء بالخيال فيعجب؛ ولون يرتفع فيه الخيال بالأداء فيهز.. شعر قوامه الصياغة الرصينة، وشعر قوامه الوحي النبع.. وأشهد لقد حالفكم في هذا التمييز التوفيق كل التوفيق!

على أني ألفيتكم تضعون قصيدة «الشاعر» للحداد، وقصيدة «راقصة الحانة» للشاعر الخالد علي محمود طه، وقصيدة «الطلاسم» لأبي ماضي، في مستوى واحد، وتنسبون القصائد الثلاث إلى هذا الشعر الذي يتمثل واضحاً مميزاً في قوامه الحركة النفسية، والصدقة الوجدانية، والرؤية الخيالية، هو هذا الشعر الذي ما إن تقبل عليه حتى تشعر أنه ينقلك إلى جو كله رفيف، وكله أمل، وكله سلام.. جو من الأحلام، والأنغام، والأناشيد المترقرقة.. وأشهد مرة ثانية لقد أصبتم محجة الصواب في هذه الناحية!

ثم رأيتكم تجمعون في الطرف الآخر بين عزيز أباظة وأنور العطار، في صعيد واحد وهنا أبيح لنفسي أن أختلف وإياكم بعد اتفاق، أختلف وإياكم في أمر العطار، بعد اتفاق تام معكم في كل ما رأيتموه في شاعريته، اليوم عند تمييزكم لشعره من شعر الفئة الأولى، وأمس عند تمييزكم لقصيدة الحداد على قصيدة العطار.. وهنا أبادر بالقول إن شعر العطار ليس - في ما أرى في طبقة شعر عزيز أباظة، ولا يمكن أن يلتقي به سواء!

أقول ذلك، وأنا قد قرأت الكثير من شعر أباظة: فهزني، وأطربني، وأثارني، وأعجبني، وحلق بي في جواء من الجمال والجلال والإبداع.. وأقول، وأنا قد قرأت الكثير أيضاً من شعر العطار الذي نشره، بل وقد سمعت العطار نفسه يلقي بعضه، في بعض المجامع والمناسبات.. فلم أشعر بتلك الهزة، ولم أجد في نفسي أثر تلك اللذة، ولم يحفزني شيء فيه إلى التهويم مع الشاعر في واد، أو التدويم على جناحه في أفق!

شعر العطار الذي يرقص على الأقل، شعر صناعة وألفاظ.. شعر عبارات مات فيها الجرس، وصور التطمت فيها الألوان وخفت البريق، ومعان أكرهت على السكون بعضها إلى بعض، فلم تكد تتآلف، ولم يكد يأنس شيء منها بشيء.. وهل نحن بعيد وعهد بقصيدتيه «بردى» و«عبقرية النيل» اللتين نشرتهما له «الرسالة» منذ قريب؟ إنهما قصيدتان نموذجيتان من شعره، تدلان أصدق دلالة وأوضحها على شاعرية الشاعر.. فهل يخرج منهما القارئ بشيء؟ اللهم إلا بهذه الطاقة الفنية «حقاً» من مختارات الألفاظ.. كأنما الشعر الجميل ديوان المفردات الجميلة، أو قاموسها!! وبعد، فشعر العطار كما أراه عمل ذهني، وجهد لغوي، لا يمت إلى شعر «الأداء النفسي» بصلة.. ولا كذلك شعر أباظة.

ووقفة أخرى وقفتها عند إشارتكم إلى قصيدة «الشاعر» للحداد، وتعقيبكم على هذه الإشارة بقولكم: «وقد تكون فلتة من الفلتات التي يصعب أن تتكرر من حين إلى حين».. نعم، قد تكون هذه القصيدة المحلقة للحداد فلتة من الفلتات.. نعم ولا بد للناقد الحصيف من مثل هذا التحفظ في إطلاق الحكم على شاعرية شاعر لم تعرف له غير قصيدة واحدة.. ولكن هل ألمح من وراء هذا الكلام شيئاً من تراجع عن ذلك الحكم الأول الذي حكمتم به من قبل للقصيدة.. أو شيئاً من فتور في ذلك الحماس الكريم الذي اقترن به حديثكم السابق عن الشاعر. أم هذا الذي يخيل إلي أضغاث أوهام؟ أرجو أن تصدق الأخيرة!

وتقبل أيها الأستاذ الناقد أصدق آيات الثناء على جميل أدبك من المعجب:

«دمشق - سورية» محمد الأرناؤوط

أشكر الأستاذ الفاضل ثناءه العاطر، وأعتذر إليه من أن تضيق صفحات هذا العدد من «الرسالة» عن التعقيب، لأنه طرق من زوايا الفن الشعري ما يحتاج إلى شيء من التحليل والتحديد.. إن موعدي معه في الأسبوع القادم إن شاء الله، وأرجو أن يتسع النطاق لبعض الرسائل الأخرى في حقيبة البريد.

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ذكرى شوقي :

كانت ذكرى وفاة أمير الشعراء أحمد شوقي بك في الأسبوع الماضي ، فقد توفي في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ . وقد كان مظهر الذكرى في هذا العام أبرز مما كان في السنوات الماضية ، فقد كتبت فيها أكثر الصحف والمجلات كلٌّ على طريقتها ، وإن كان ذلك لا يعد شيئاً بالنظر إلى مكان الشاعر العظيم ومنزلته في النفوس .

ومما استرعى الأسماع في هذه المناسبة ذلك البرنامج الضخم الذي قامت به محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية ، فقد بدأت الاحتفال بهذه الذكرى من أول أكتوبر ، فخصصت الأوقات المعينة لمسرحيات شهر أكتوبر جميعه لإذاعة طائفة من مسرحيات شوقي يقوم بأدائها وتمثيلها نخبة من الممثلين الذين مرنوا على تمثيلها كأحمد علام ومحمود أمين وفاطمة رشدي ، وتخلل البرامج في هذه الفترة غناء قصائد كثيرة من شعره واحتفت بيوم الذكرى (١٤ أكتوبر) احتفاءً خاصاً ، وقدمت فيه برنامج خاص بالشاعر الكبير عنوانه « في وادي الخلود » من تأليف أحمد راى وإخراج السيد بدير .

أما محطة الإذاعة المصرية التي اعتادت أن تحيي ذكرى شاعر مصر الخالد بحديث واسطوانات عبد الوهاب ، فقد ضاعفت جهودها هذا العام ، فأضافت إلى الحديث آخر ، وإلى إسطوانات عبد الوهاب أغنية « النيل » لأم كلثوم .

ولا شك أن شاعرنا الكبير حرية ذكراه باحتفاء لم تقم به ، وفي الأمم الأخرى تحيا ذكريات أمثال شوقي عندهم على نحو يستفيد منه الناس ويشعرون فيه بجلال أصحابها ، فتقام الحفلات والمهرجانات أسابيع تلقى فيها الدراسات وتمثل المسرحيات ، ويحج الناس إلى مقبرة الشاعر أو إلى مسقط رأسه ، فيشعر الناس بدنيا الأدب والشعر وقيمة الأدباء والشعراء ، فيتراءون لهم وتحلق أرواحهم في أجوائهم السامية ويحسون بالأدمية المرتفعة فوق مطالب الحيوانية .

فأين نحن من كل ذلك ؟ الجواب : لا شيء . ونحن مع ذلك سبيل في الشرق الروحاني .. كما يقولون .

!! لا تقوم الحكومة (وزارة المعارف أو وزارة الشؤون) بإحياء هذه الذكريات ! وماذا تفعل الجمعيات الأدبية الثقافية إن لم تقم بذلك ؟ وأين وفاء المسرح لشوقي لقاء ما قدم له من روائع المسرحيات ؟ أولم يكن يجدر أن يفتتح موسم التمثيل بالأوبرا في ١٤ أكتوبر بتقديم مسرحية شوقية ، وقد أصبح عندنا الآن فرقتان : الفرقة المصرية وفرقة المسرح الحديث ، فكان يجب أن تقدم كل منهما رواية لشوقي في ذكراه مما تعرفوا عليه ومثلوه من قبل ، ثم يأخذون بعد ذلك في برنامج العام الجديد . والدع ما فات فهل يفعلون فيما هو آت ؟

على السجل :

جرت وزارة المعارف على أن تهدي السجل الثقافي إلى الهيئات والشخصيات الثقافية الكبيرة بمصر والخارج ، وتخصص لهذا الإهداء أكثر النسخ المطبوعة ، أما الباقي فموزع بإدارة التوريدات بالوزارة كي يباع لمن يطلبه . وقد بيع من السجل الماضي (سجل سنة ١٩٤٨) سبع نسخ ! والسبعة الذين اشتروه أبطال . . . يستحقون التنويه بما لقوا من جهد في الحصول عليه ! يذهب أحدهم إلى إدارة التوريدات فيصعد إلى الدور الخامس ، وكثيراً ما يكون المصعد معطلا فيضطر إلى الصعود على قدميه ، وعندما يبلغ مكتب المدير لاهثا يطلب منه أن يكتب طلب الشراء وقد يلصق به « ورقة تمغة » وقد يضطر أن يهبط إلى الشارع ليشتري الورق والتمغة ويصعد ثانياً .. ثم (يؤشر) المدير على الطلب ، فيرل الطالب إلى الدور الثالث حيث الموظف المختص بالبيع ، فيظفر بنسخة من السجل لقاء أربعين قرشاً ..

ولم يستطع أحد غير أولئك السبعة الشجعان أن يفعل ما فعلوا وإنا لا أشك في أنهم سيضيفون شجاعتهم في هذا العام ليصلوا إلى السجل الجديد (سجل سنة ١٩٤٩) وما أشك في أن وزارة المعارف

يريد نشر السجل لا طبعه واختزانه ، فليس هناك إذن إلا أحد أمرين : إما أن تهديه كله أو تتبع طريقة أخرى في نشره ، والأمر الأول لا ينفع لأن الأعداد لن تستوعب كل من يريد الحصول عليه ، فليس هناك في الواقع إلا أمر واحد هو الأمر الثاني ، وهو اتخاذ طريقة تيسره للناس كما تيسر التعليم لكل الراغبين فيه ؛ وأنا أقترح عليها أن تعهد به إلى دور النشر كما صنعت بكتاب « تاريخ العالم » التي تترجمه إدارة الترجمة بالوزارة وتنشره مكتبة النهضة ، ودار النشر تستطيع بوسائلها أن تيسر نشره وتذلل نفعه وفي هذا تذليل لصعوبة أخرى هي إجراء مناقصة بين المطابع في كل عام لطبع السجل ، وتستنفد إجراءاتها وقتاً طويلاً يؤخر صدوره عن أوائل العام وذلك لأن دار النشر التي تنشره هي التي تطبعه دون حاجة إلى مناقصة ، ولا بد أن تسرع في طبعه وتحسن إخراجه لتضمن رواجه . وفي كل ذلك ما يحقق الأهداف التي ترمي إليها وزارة المعارف بإخراج السجل الثقافي .

كشكول الأسبوع

▫ اعتمد معالي وزير المعارف ألف جنيه لشراء كتب لمكتبة معهد فاروق للدراسات الإسلامية بمدريد ، وقد كتب معاليه إلى المكتبات والهيئات العلمية بمصر لتهدى بعض الكتب إلى مكتبة المعهد ، ثم يضاف ما يهدى إلى ما يشترى ويرسل إلى المكتبة . وقد سافر الدكتور سلطان حزين في هذا الأسبوع إلى أسبانيا ليتولى تنظيم مكتبة المعهد .

▫ تقرر أن يعقد مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم ١٨ ديسمبر القادم .

▫ أفضى الدكتور محمد كامل حسين بك مدير جامعة إبراهيم ، بحديث إلى مندوب « الأهرام » قال فيه : عاشت جامعتا فؤاد وفاروق باتجاه تركنا القديم ، ووعيا ... وعثرا الطرق الصحيحة للتربية ، أما نحن فنريد أن نبدأ من حيث انتهوا ، وأن نعنى أولاً بما يعني ... الفكرية المصرية ومصر ما زالت تحن إلى الشكل ... كل نواحي تفكيرها ولذلك لما أن نتجه إلى الاتجاهات ... العصر الحاضر والأخذ بها .

▫ بدأ فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ ... شيخ الأزهر الجديد في مشيخة الأزهر بحديث إلى مندوب « المصري » قال فيه : إني أريد دراسة كتب ... الأسلاف بها من بعض كتب المتأخرين لأن هذه تحمل التعليم عنها وتحوله من الجوهر المقصود إلى مسائل شكلية لا أثر عنها عادية ، وقال فضيلته : لن يضيع وقت الطلاب بين متن يرتفع إلى غاية وشارح يخطئه وحواش يخطئ الاثنين ، أو ينتصر لأحدهما .

▫ نشرت « الأهرام » يوم الأربعاء من الأسبوع الماضي مقالاً افتتاحياً بدأه كاتبه قوله : « هذه البلاد الميتة كلت الآمال في ارتقابها جزءاً »

ويقال إن الكاتب يقصد بهذه العبارة أن البلاد زاد على رغم ما يؤمن من اختلاف الأمصار . أليس يمكن الناس ما يلقون من الملاحق يخلوا بقل هذا الكاتب خارج !

▫ كان لي صديق من الأدباء ، فقدته وقد لحق بمنصب كبير ، وبصفة أنه تلقيني في أن ذهبت لزيارته ، فتح لي بابه ولكنه أغلق دوني قلبه !

اتجاه الأدب وواقع الحياة المصرية :

أذاعت محطة لندن العربية يوم الأحد الماضي ، حديثاً لمعالي الدكتور طه حسين بك ، عن اتجاه الأدب وواقع الحياة المصرية الحاضرة ، قال معاليه : كانت مصر قبل العشرين سنة الأخيرة تفكر تفكيراً مصرياً بحتاً ، وقد كان ما يكتبه الأدباء المصريون ينتشر ويتداول في الأقطار العربية الأخرى ، ولكن الموضوعات التي يتناولونها ومجال آرائهم ومدار أفكارهم — كل ذلك لم يكد يتجاوز الحدود المصرية . ولكن تطور الحوادث والاتجاهات بعد ذلك أخذ يحول التفكير إلى مجرى الحياة العربية العامة وأخذنا نفكر ونكتب باعتبارنا عرباً لا باعتبارنا مصريين فقط ولم يقف الاهتمام بالحياة العربية عند الشرق وحده ، بل انتقلنا بعد ذلك إلى طور آخر اتجهت فيه أنظارنا إلى المغرب ، فأولينا البلاد العربية الغربية عنايتنا وعنينا بشؤونها ومسائلها .

وقال معاليه : وكنا ننظر إلى الأمم الغربية في أوربا وفي أمريكا على أنها أمم متفوقة في

الحضارة والقوة وأننا قوم متخلفون ، ننظر إلى ما يرد إلينا منهما على أنه شيء خارق معجز ، ولكن هذه النظرة دخلت بعد ذلك في طور آخر ، هو أننا نعتبرها حقاً أنها متقدمة في الحضارة وفي القوة ، ولكننا أخذنا نشاركها ، نأخذ منها حيناً وننقدها في أكثر الأحيان . ونحن الآن ننتج في الأدب آثاراً كالآثار السائدة في الغرب ، فنكتب في الأنواع التي يكتبون فيها من دراسات وبحوث وقصص ومقالات ، حتى الشعر ، يجرى فيه شعراؤنا على مناهجهم في التفكير والنظر إلى الأشياء ، وإن كانوا يحافظون على سمته الشكلي القديم . ولا شك أن الفضل في اتصالنا بتلك البلاد الغربية يرجع إلى الجامعات والأساتذة الذين نستقدمهم من الخارج والبحوث التي نرسلها سواء التي توفد للدراسات بالمعاهد والذين يشتركون في المؤتمرات والهيئات الدولية . وشيء واحد هو الذي افترق فيه عن تلك الأمم الغربية ، وهو أنها تخلصت من قيود الحرب الماضية ، ولكننا لا نزال نشعر بآثارها ، فأتيحت لهم بذلك حركة وطلاقة ، ويوم يتاح لنا أن نتخلص من شوائب الحرب الباقي عندنا لا بد أن نلحق بهم ، فأنا متفائل جداً بمستقبلنا القريب ، يوم نفكر في أشياء لم تفكر فيها بعد ، أو يفكر فيها بعضنا ولكنها لم تخرج إلى حيز الوجود .

مأخذ اللغات الإسلامية في الهند :

تنشر الصحف بين آونة وأخرى تصريحات لبعض ساسة الهند تتضمن أن الدولة الهندية ترعى حقوق الأقلية المسلمة التي بقيت في بلادها بعد أن تكونت دولة الباكستان من أكثرية مسلمي الهند ، وقد قرأت أخيراً تصريحاً لأحدهم يطالب فيه أن تتعاون مصر مع الأربعين مليوناً من المسلمين الموجودين في الهند وأن تهتم بشئونهم « وخاصة أن لهم مدارس تعلمهم اللغة العربية » وقد جاءت هذه العبارة المحصورة بين الأقواس في خلال التصريح دون مناسبة . فإن اهتمام مصر بمسلمي الهند وشئونهم لا يتوقف على أن يكون لهم مدارس تعلمهم اللغة العربية . إنما المقصود - على ما يبدو لي - أن يقال ذلك لتغطية شيء ، هو ما أردت الكشف عنه بهذا الموضوع .

لقد وقف العالم على ما كان من نزاع وتطاحن بين الهندوس والمسلمين قبل أن تنقسم البلاد الهندية إلى الدولتين الجديدتين ، وعلم الناس أمر المشكلة الهندية المشهورة التي محورها « البقرة » التي يقدسها الهندوس ويذبحها المسلمون ، ولم تفلح إنسانية غندى في التوفيق بين التقديس والذبح ، فلم يكن بد من الانقسام ، وكان المسلمون بالهند قبل هذا الانقسام نحو مائة وعشرين مليوناً ، وكانوا أقدر على مقاومة الاضطهاد من المسلمين الباقين بالهند الذين أصبحوا أقلية منتشرة في البلاد لا حول لها ولا طول . وكم نود أن نفهم أن دولة الهند الحديثة المستقلة التي قامت على مبادىء الحرية والعدالة أمكنها أن تحول التيار وتبدل الناس غير الناس أو تتصرف هي على الأقل تصرفاً يدل على الاهتمام بشئون المسلمين في الهند . فهل تحقق ذلك أو أننا هنا نسمع إذاعة من الساسة وتظاهراً ليس وراءه ما يسنده ؟

في العام الماضي قرر المجلس التشريعي الهندي استبعاد الألفاظ العربية والفارسية والتركية من اللغة وإحلال السنسكريتية محلها ، وهذه الألفاظ التي تقرر استبعادها تكون الجزء الأغلب في اللغة الأردية ، وكان دخولها فيها نتيجة للفتح الإسلامي وتتابع الدول الإسلامية في الهند ، وهذه اللغة الأردية التي تكونت من الهندية القديمة ومن العربية والفارسية والتركية استعملت في قرون متتابعة كانت فيها لغة الحضارة والثقافة الإسلامية هناك وتلقفت بوساطتها الآداب الإسلامية ونظمت العلاقات بين الأفراد وبين الفرد والجماعة ، وسادت في البلاد الهندية جميعها بين المسلمين وغيرهم ، ونقل إليها كثير من المعارف الغربية .

فما هو الدافع إلى ذلك القرار ؟ هل هو توحيد اللغة بين أهل البلاد وتسهيل التخاطب بينهم ؟ إن كان هو الغرض فإن الأردية أصلح له ، لأنها لغة الجميع السائدة في شتى أنحاء الهند . ليس هناك إذن إلا محو الآثار الإسلامية التي استقرت هناك بفعل التاريخ وصبغت القوم بصبغتها ، وليس هناك أيضاً إلا أن تختنق اللغة التي تصل المسلمين بثقافتهم وما يمت إليها . فوجب إذن أن تصبح الهندستانية « بريئة » من الكلمات الإسلامية لغة الهندوس !

ولا شك أن الأقلية المسلمة الموجودة الآن في الهند لا تستطيع ذبح بقرة ، فهل حرمت عليهم أيضاً ألفاظ القرآن الكريم ؟ وهل جاء « العذاب الروحي » من قسمتهم مقابل « العذاب البدني » عند الهندوس .. ؟

عباس خضر

الكتب

البحرية الاسلامية

تأليف الدكتور على محمد فهمى شتا

للاستاذ منصور جاب الله

العنوان الكامل لهذا السفر القيم هو « البحرية الإسلامية فى شرق البحر المتوسط من القرن السابع إلى القرن العاشر بعد الميلاد » وسنذ عامين قدم الدكتور على محمد فهمى شتا المفتش فى وزارة المعارف هذا الكتاب إلى جامعة لندن ، رسالة نال بها الدكتوراة الفلسفية فى مادة التاريخ . وفى مطالع هذا الصيف طبع الرسالة باللغة الانجليزية ، وهو الآن بسبيل إخراجه باللغة العربية لحمر به القافية . وكتاب البحرية الاسلامية يتضمن سرداً وافيا للتشكيلات البحرية فى شرق البحر المتوسط بين القرن الأول والقرن الرابع بعد الهجرة ، ولا نحسب أن كاتبا من الكتاب طرق هذا الباب من قريب أو بعيد سواء فى العربية أو فى غيرها من اللغات .

ويؤيد هذا الزعم الذى ذهبنا إليه أن الأستاذ « وستنفلد » جزم فى تقريره الذى قدمه إلى جامعة جوتنجن عام ١٨٨٠ بأن أحداً من الباحثين لم يطرق باب النشاط البحرى عند المسلمين . وفى عام ١٩٤٦ أكد الأستاذ جاتو هذه الحقيقة فى مقال نشرته مجلة « ريفيو أمريكان » مشيراً إلى أن انعدام المراجع لم يغر أحداً من الباحثين على التوغل فى ذلك الميدان .

وكذلك ظل تاريخ البحرية الإسلامية مطوياً فى غلالات من النسيان ، وبقى الباحثون عنه فى تيه سرمدى ، ودفنت دقائقه مع المؤرخين الإسلاميين القدامى الذين غيبوا عنا من زمن بعيد .

ولقد وقفنا طويلا لنتساءل عن سر اهتمام رجل مثل الدكتور شتا – وهو من رجال التعليم – بالمسائل البحرية ، هذا الاهتمام الذى تجلى فى كل سطر من سطور كتابه النفيس ، ولماذا لم يلق هذا العبء على غيره من رجال البحر المتفقهين عندنا ؟ ثم عدنا نجيب بأن مرد ذلك إنما يرجع فى الأكثر إلى الميل الباطن فى المؤلف فهو من أسرة سكندرية عريقة ، وإنه ليرى فى صباحه ومغداه المنشآت فى البحر كالأعلام ، فينبع السؤال من قلبه : كيف نشأت ؟ وكيف كانت ؟ ثم كانت رسالته العلمية جوابا فى خمسة فصول يبحث أولها فى دور الصناعة عند العرب والقواعد البحرية عند المسلمين معتمداً فى ذلك على أوراق البردى وكتاب العرب القدامى . وقد بدأ بتحقيق ذلك فى مصر وبين أهمية مراسى القلزم والاسكندرية ودمياط ورشيد والقواعد البحرية الأخرى ثم عرج على تاريخ أول (ترسانة) إسلامية فى مصر ، وهى تلك التى كانت فى حصن « بابل » وحدد موقعها تحديدا يذهب كل لبس ، ثم عكف على معالجة دور الصناعة فى الشام وتحدث بإسهاب عن دار الصناعة فى طرسوس .

وتناول الفصل الثانى مراكز قيادة الأسطول الافريقى فى برقة ، وتحدث عن الصناعة البحرية فى تونس ، وأثبت أن أقريطش (كريت) كانت مركزاً بحريا مهما فى فجر الاسلام إذا قورنت بجزيرة قبرص .

أما الفصل الثالث فيتضمن وصف أدوات صناعة السفن ومنها أنواع الخشب المختلفة ، ومناسبة كل نوع لغرض بحرى ، ثم أشار إلى توفر الخشب – فى ذلك العهد – فى كل من مصر وسوريا ، وتناول بعد ذلك صناعة الحديد والسلاسل النحاسية والحبال وغيرها من الأدوات التى تستعمل فى الصناعات البحرية .

ودرس فى الفصل الرابع مسألة تنظيم الأساطيل التجارية وهى أسطول مصر وأسطول الشرق وأسطول إفريقية ، وأدلى بمعلومات خاصة عن قوة كل أسطول وميزانيته ، ثم تطرق إلى الكلام عن الضرائب والسخرة والتجنيد وطرائق جمع البحارة والقباطنة والصناع ، وبعد ذلك تفرغ إلى البحث فى مسائل التموين والذخيرة والأجور إلى أن انتهى إلى مسألة الفارين من الجندية البحرية الاجبارية وكيفية عقابهم وطرق استتابتهم .

أما الفصل الأخير في هذا الكتاب النادر فيتحدث عن الطابع الذي تتميز به سفن البحر المتوسط – أو بحر الروم كما كان يسمى عند العرب – ويوازن بين السفن الإسلامية في ذلك البحر والسفن الإسلامية في بحر الزنج أو المحيط الهندي، ثم يتبع ذلك دراسة شاملة عن أنواع السفن البحرية والعاملين فيها، وأخيراً يردفها بالخطابات الرسمية التي أصدرها الخليفة العباسي متعلقة بحرام قائد الأسطول.

وبعد تمام الكتاب أضاف إليه مؤلفه الفاضل ثلاثة تذييلات أولها عن الثغور في مصر والأمكنة التي كانت توجد بها ودور الصناعة بها وصناعتها، وثانيها عن أسماء السفن في عهد الدولة الطولونية، وآخرها عن أسماء السفن كما ذكرها القلقشندي.

...

ومن خلال هذا العرض الموجز يعرف مدى الجهود التي بذله المؤلف الشاب في كتابه الفريد في بابه، وكثرة المراجع التي أخذ نفسه بدراستها، ويزيد الأمر غرابة أن المؤلف لم يشتغل بالشئون البحرية ولم تكن له دراية بها، ومن ثم يكون عمله هذا فذاً في نوعه طريفاً في بابه، يستحق عليه الإعجاب والإكبار.

منصور جاب الله

في رحاب الصوفية

تأليف الأستاذ أحمد الشرباصي

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

الكلام في الصوفية لغير الخاصة يحتاج إلى براعة فائقة تقرب مدلولاتها للأذهان، وتدنى رموزها من القلوب. ولقد اتخذ بعض «المتواكلين» كلمة «التصوف» سبيلاً إلى المتاجرة بها على أسلوب من الزهادة المصنوعة، وجعل لها «طقوساً» يخدع بها الساذجين من العامة، حتى يسيروا في ركابه، ويتمسحوا بأعتابه!

وقد عمد الأستاذ «الشرباصي» إلى الوجازة المتيسرة في تعريف الصوفية ليكشف الحقائق من حقيقتها لتعرفها من يعرفها مشوهة، ناقصة، ذات بريق خداع!

واستهل صاحب الرسالة بحثه الخاطف بشطحات يحلق بها السلوك الصوفى على أسلوب من الترغيب، لكنه لم يتعرض إلى معنى كلمة «التصوف» بحسب ما أراده بأسلوبه المقرب، مع أن المقصود من إيراده كشف الغطاء عن تلك الكلمة التي يخدع المخادعون بها البسطاء!

لم يكن المقصود من تأليف هذه العجالة التعمق، والتخصص والإحاطة، لأنها ليست برسالة للخاصة كما قلنا، لكنا نعتقد أن الحومان حول الكلمة ذاتها في استهلال البحث أدعى إلى المعرفة «الساذجة» من الغرض الذي عرضه من دون تنبيه الأذهان!

لا ننكر إباحته حيناً تعرض «للشطحات» وصورها بأسلوبه السلس الدافق، الملء بالجاذبية، والوضاءة، والألمعية، لكننا لا نزال عند رأينا في ضرورة الإفصاح عن مدلول كلمة «التصوف».

يتغلغل في الريف جماعة لا هم لهم إلا اصطياد السذاجة في أحبولة الخداع، فيقع في شراكهم كثير من طالبي الحاجات يطلبون الخير والبركة، ويلتمسون العفو والمغفرة، ويأنسون إلى المخادعة والمنافقة!

إن الإشارة إلى هؤلاء البسطاء على الإيمان تتجدد في الرسالة الصغيرة، وكان حرياً بالأستاذ الشرباصي – وهو القوى الإيمان – أن يصور بقلمه الثائر الجوانب التي يعيش فيها المرتزقة باسم التصوف، لكنه تغافل وجودهم اكتفاء باستعراضه الصور الوضيئة للمتصوفة.

على أن هذه الرسالة – على صغرها – قد دعت إلى التمسك بأهداب الدين، والعمل وفق ما دعا إليه، ومحاربة حب الظهور، ومداراة العيوب، وملازمة الزهادة، والصبر على الشدائد، وآداب الدعاء، وطرق الاستجابة وكبت الشعور، والتكشف عن اللذات الدنية!

لقد ساق هذه الصحائف في صفحات، أسورها بأسلوبه اللامع الذي يزيل حجبة القلوب!

بور سعيد — أحمد عبد اللطيف بدر

البريد الأدبي

« حول مقال التشبيه في القرآن »

كتب الأستاذ الفاضل أحمد أحمد بدوي مقاله النير « التشبيه في القرآن » بالعدد (٨٩٥) من مجلة الرسالة الغراء ، ومن يقرأ هذا المقال لا يملك أن يكتم إعجابه بما للأستاذ من ذوق فني سليم ، وحس أدبي مرهف ، ولا يمنعني إعجابي بالمقال من أن أتوجه إلى صاحبه بكلمة لا تنقص من قيمته : يعد أن قرر الأستاذ أن القرآن ليس فيه سوى تشبيه المحسوس بالمحسوس ، وتشبيه المعقول بالمحسوس تعرض للآية الكريمة : « طلعها كأنه رءوس الشياطين » وتكلم عنها كلاما يفيد أن التشبيه هنا اكتسب قوة المحسوس وأصبح في حكمه ، وبعد هذا أجرى مجرى هذه الآية قوله تعالى : « فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب » ثم قال : فهي صورة قوية للجان عقله ـ شديد الحركة لا يكاد يهدأ ولا يستقر . والواقع أنه إذا كانت رءوس الشياطين قد صارت من الشهرة بحيث ارتسم لها في أذهان الناس شكل خاص ، فإن اهتزاز الجان وشدة حركته لا يبلغ بحال أن يصل في شهرته إلى أن يكون محسوسا أو كالمحسوس .. فلعل الأوفق ألا نجرى هذه الآية مجرى سابقتها ، إذ أن المشبه به محسوس فعلا ، ولا يحتاج إلى مثل هذا التأويل ؛ فالجان هنا ليس الجان المعنى الذي تطرق إلى ذهن الأستاذ ، وإنما هو حية أو ثعبان ، ولا تتعلق بها كتب المفسرين وحدهم ، وإنما تشهد بذلك كتب اللغة : يقول الجوهري في الصحاح : والجان أبو الجن ، والجان أيضا حية بيضاء ، وهذا المعنى الأخير لا يكاد يخلو منه كتب اللغة ...

وبالنا نذهب بعيدا ، والقرآن نفسه — وهو الذي يكمل بعضه بعضا ، ويفسر بعضه بعضا ـ يقول موضع آخر : « فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين » سورة الأعراف : آية ١٠٦ ـ ثم يقول أيضا : « قال ألقها ياموسى فألقاها فإذا هي حية تسعى » سورة طه آية ١٩ وهكذا يتبين لنا أن المشبه هنا محسوس فعلا لا يحتاج تأويلا أو قياسا ، ولعل هذا الذي ذكر هو أكثر اتساقا ومسايرة لمنهج الأستاذ في بحثه ، فالثعبان شكلها وحركتها واهتزازها أقرب إلى الثعبان منها إلى الجان ، وأخيرا فللأستاذ إعجابي وتقديري .

عبد الجواد الطيب

إلى الأستاذ عباس خضر

لا ياسيدي ، ليست روحيتنا في التواكل والأوهام والخرافات بل إنها على العكس تدعونا إلى النهوض مما نحن فيه في تكاسل وتقادم جعلنا ـ نحن الشرقيين ـ ذيلا للشعوب ، وإنما هي تنصحنا بأن يكون نهوضنا عمليا لا يكتفي فيه بأماني جوفاء لا تؤدى إلى غاية . وهي تدعونا إلى الخروج من ظلال الأوهام والخرافات التي لا زال الكثيرون يسبحون فيه فلا يستطيعون التفريق بين حق وباطل .

وليست روحيتنا في التنجيم والفنجان والمكف وما دعوته باستحضار الأرواح ... إلى آخر ما أدرك إليه ظنك بالروحية ، فهذه الترهات لمن عرف الروحية على حقيقتها ليست من الروحية في شيء ، والواقع أن دعوتنا لم تقم الاشتغال بجو الروحية من هذه الصغائر وجلاء حقيقتها الكبرى لإبرازها للناس ، بعد أن عجزت العقول المشتركة بمحض المادة عن استخلاص النتائج الدالة على هذه الحقيقة في الندوات الطبيعية .

ولقد كان يحق لك أن تعترض على عمل « جماعة الأرواح » التي تنظر إلى وجودها بين مصدق ومكذب لأنك لا تلمس أجسامها بيديك ، لو أنك كنت قد استطعت بنفسك أن تجعل في عالمك هذا ، بعد أن تسلمت قياده وتوليت أمره ، عالماً تسمع فيه الحياة للناس جميعا ، فلا تسمع فيه استغاثة محتاج ولا أنة مريض ، ولا ترى فيه تخبط جاهل في ظلمات جهله ؛ أما وقد فشلت إمدادتي في أن تحقق في هذا العالم ما توجبه الإنسانية وتبتغيه ، بدليل هذا الفساد الشامل والاضطراب الواقع ، فإلام إذا وجه اعتراضك على عمل هذه الجماعة التي وجهها الآن إلى إخراج عبادها مما هم فيه من ضلال وإنقاذهم مما هم سائرون إليه من سوء المآل ؟

ومن الإنصاف أن تذكر أنه ليس بمستكثر من باعدت ميوله المادية بينه وبين الروحية أن يقع في الخطأ الذي وقعت فيه . ولو كنت اقتربت من الروحية لرأيت أن غايتها أن يتخلص الإنسان

من متاعبه ومشاكل وسائل راحته ، ورأيها تسمو به إلى هذه الغاية بتوجيهه إلى اتباع ما وضع لانتظام الكون في قوانين لم يشذ في السير عليها إلا هذا الإنسان نفسه . وإذا تجارب الروحية فعلا تلك المادية التي تدفع الناس إلى سوء استعمال ما وصل إليه علمهم من هذه الوسائل .

ولقد عجبت من أنك تريد للضعفاء والفقراء أن يعوا أسباب ضعفهم وفقرهم ليتخلصوا منها ثم لا تدلهم على الوسيلة الفعالة التي يستطيعون بها ذلك ؛ بعد أن جردتهم — بانكارك وجود القوى الروحية — من تلك القوة التي تمد السماء بها الضعيف ليصبح قادراً على التغلب على من يريد أن يطغى عليه .

وزاد عجبي حينما رأيتك تعود ، بعد انكارك واعتزازك بالانتساب إلى المادية ، فتتعلق بأستار الروحية فتقول إنه لا زال في تمسك معناها الحقيقي الذي « هو شعور الإنسان بجماله المادي والمعنوية والسلوك الانساني الكريم ، ذلك الشعور الذي يخلق في المرء روح التعاون والتكافل الاجتماعي ، على أن يكون ذلك ممتزجاً بالواقعية في مواجهة مسائل الحياة وبالمنطق المعقول في فهم الأشياء » . فهل علمت ياسيدي أن الروحيين جعلوا للروحية معنى غير هذه المعاني التي رحت تقول بها بعد أن اعتقدت « أن قانون الحياة الذي لا يدافع هو أن يستطيع الانسان أن يأخذ حقه من الإنسان ، لا أن ينتظر حتى يشعر بالعطف عليه » ؟

ارجع ياسيدي إلى الكتاب فاطلع عليه إلى نهايته ثم ارجع إليه ، وفقك الله ، فدقق النظر فيه ، بتدبر معانيه ومتابعة مراميه لترى فيه معنى الروحية الحقيقي ، ولتعلم أن كاتبه لم يعد الحق حينما ذكر أن موضوعه ليس من وضعه وأن عبارته ليست من بنائه .

فان أبيت إلا انصرافاً عن جد الأمر إلى هزله ، فطلبت روحاً تهتف بك ، أو يناجيك ، فليس ببعيد ذلك اليوم الذي سترى فيه من الأحداث الجسيمة والوقائع العظيمة التي كتبها الله على العالم ما يجعلك تقتنع كل الاقتناع بأن « الوساطة الروحية » لم تأت في أمرعين ليكون موضوعها مادة للتظرف والتفكه .

عبد اللطيف محمد الدمياطي

الدراسات العليا في الأزهر

تحت هذا العنوان كتب صديقي الأستاذ عبد المنعم خفاجي في العدد (٩٠٠) من الرسالة الغراء مقالا انتهى منه إلى أمرين

(أولهما) إعادة الدراسات العليا في الأزهر متمثلة في تخصص المادة .

(ثانيهما) أن هذا التخصص قد قام بواجبه في خدمة الثقافة الأزهرية خير قيام ، وقد فتح للثقافة الإسلامية آفاقاً واسعة .

ولما كان الأزهر مقبلا على عهد جديد ، ولما كانت مثل هذه الكتابات تنبه الأذهان ، كان من الواجب على الحريصين على سمعة الأزهر ، والراغبين في الإصلاح الحقيقي أن يناقشوا هذه الآراء .

ولا أدرى لماذا يكره كثير من الأزهريين الكلام في إصلاح الأزهر ، أو النقد لما يذيعه الأزهريون من كتب ، وما يطبعه أبناؤه من مؤلفات ، وما يجمعونه أحياناً من الكتب القديمة ويسمونه تجديداً ؟

وطالما ترددت في نفسي أن أكتب من كتب أزهرية ، أو أشترك في المجادلات التي دارت وتدور حول إصلاح الأزهر ، أو أبدي رأيي في تخصص المادة بالذات ، ولكن كان يخشى أن بعض الأزهريين يضيقون أشد الضيق بالصراحة والحق فكنت أسكت على مضض ، فلما كان مقال الأستاذ خفاجي رأيت الفرصة سانحة لأن أجهر بحق طالما كتمته .

وقبل أن أخوض في الموضوع أحب أن يفهم القراء بنتيجة هذا المقال أني لا أقصد الجموع ، وإنما أقصد المجموع على حد تعبيرنا الأزهري ، وأن من بين الذين تخرجوا في تخصص المادة من هم في الطليعة بين أساتذة الأزهر ، وأني أحمل لجميعهم كل مودة واحترام ، ولكن استجيب صيحة لصوت الحق .

وأعود إلى الموضوع فأقول : أما أن إعادة الدراسة في هذا التخصص واجبة فلا ثم لا ، وأما أن هذا التخصص أخفق في أداء رسالته فنعم ثم نعم .

لقد فكر الشيخ المراغي عليه سحائب الرحمات في إنشاء هذا التخصص ، وكان يأمل أن يخرج منه أبو حنيفة في الرأي ،

ومالك في الفقه ، وعبد القاهر في البلاغة ، وسيبويه في النحو .. وهكذا ، فلما حضر مناقشة الفرقة الأولى ، ورأى ما تم عليه اعتراه بعض الشك

أما الرسائل التي يقول الأستاذ خفاجي أن فيها جهداً كبيراً ، وألوانا جديدة من البحث والتحليل ، فيؤسفنا أن نقول أن البلاغة العربية العربية لا تزال كما قعدها السكاكي ، وأن النحو العربي لا يزال كما وضعه نحاة البصرة والكوفة في القرنين الثاني والثالث ، ونقول مثل ذلك في الفقه والأصول والتفسير والحديث والكلام ، وأن هذه الرسائل لم تضف مسألة جديدة إلى العلم . نعم إني في بعض هذه الرسائل جهودا ، ولكن هذه الجهود ليست في الاجتهاد والإصلاح ، ولكنها في الجمع والتأليف . على أن الأستاذ خفاجي يضطرنا إلى أن نقول في هذا الموضع : إن عالما أزهريا هو الآن في الكويت قد تفضل فدلنا — على ما يقال — من كثير من هذه الرسائل ، بل إن بعض الرسائل من وضع لجنة من الأساتذة ، وليس لأصحابها فيها إلا وضع أسمائهم الكريمة على غلافها . وإني لأعرف من يعلن أن هذا العبد الضعيف قد ألقيت عليه رسالة ليست في البلاغة ولا في الأدب كما يمكن أن يفهم لأول وهلة ، بل في الفقه ، وليست في الفقه الحنفي كما هو المنتظر ، ولكنها في الفقه الشافعي . ولك أن تقدر — والقراء أن يحدسوا ماذا تكون رسالة ضاقت السبل على مؤلفها الشافعي فلم يجد إلا حنفيا تخرج في كلية اللغة العربية ليلقي عليه مهمة إصلاحها ، وإنشاء بعض فصولها !!

وأما أن الأساتذة الذين تخرجوا في هذا التخصص جديرون بجدارة مناصب التدريس في كليات الأزهر ومعاهده فأمر يسأل عنه الطلاب ، وما أظن أن رأيهم يوافق الأستاذ خفاجي كثيرا ، بل ما أظنه يشرف . على إني أعتقد ان الأستاذ الفاضل لا يجهل رأي الأساتذة الذين أشرفوا على الامتحانات في هذا التخصص ، ولمن لم يقتنع بكلامي هذا صديقنا خفاجي فليرجع إلى التقريرات التي كتبت في هذا الشأن ، وسيجد لي أني لم أطلب نشر تقرير واحد منها .

وأعود فأقول إن من بين المتخرجين في هذا التخصص من يفخر بهم الأزهر ، ولكن مع هذا فهم لم يكن نبوغهم وليد الدراسة في هذا القسم ، وإنما هي جهود شخصية ، وظني أنهم لو لم يضيعوا زهرة شبابهم في هذه الدراسة لكانوا أحسن مما هم

ثم أقول : لو أراد رجال الأزهر أن يعيدوا الدراسات العليا فيه ، فليفكروا في كل شيء إلا أن يفكروا في إعادة تخصص المادة . فإنهم جميعا — بحمد الله — ممن يؤمنون بأن هذا التخصص لم يبلغ الأمل التي كانت ترجى من إنشائه ، وأنه كان ضحيتها لمن درسوا فيه ، وأن النفع منه كان قليلا بل أقل من القليل .

(وبعد) فلعل لا أكون جرحت بكلمة يرضاها كل الأزهريين ، ويوددون الجهر بها . ولعلي لا أكون أغضبت أصدقائي ممن درسوا في هذا التخصص ، فإني ما أريد إلا الخير والإصلاح والحق والإنصاف ، وقديما قال أرسطو لصاحبه : أنت صديق والحق صديق ، ولكن الحق أولى بصداقتي ، وإني أعيد ما قلته آنفا : إن أحكام هذا من الشجرة الثابتة ، أما الدوائر فكانهم عنوط .

ع .

تعقيب على مقال

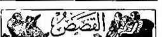
قرأت في العدد ١٨٨ من مجلة الرسالة الزاهرة مقالا قيما بعنوان (السيدة نفيسة) للأستاذ أحمد رمزي بك وطالما أتحفنا الأستاذ بأحاديثه القيمة الممتعة على صفحات الرسالة الغراء ، ولكن الشيء الذي لفت نظري واسترعى انتباهي هو استعماله كلمة خصيصا حيث قال (... اركب خصيصا لهذا المقام الخ ...) ولا يخفى أن صيغة فعيل بمعنى المفعول ليست من القياسات بل هي مما يؤخذ بالسماع ولم ينقل عن العرب خصيص بمعنى مخصوص ، وقد جاء في بيتين قالهما أبو الرقعمق جوابا لأصحاب دعوة إلى الصبوح في يوم برد وثلج ، أي طعام يريد أن يصنعوا له ويقال

أنه كان تغير الحال ليس لديه كسوة تقيه عادية البرد أما البهتان فهما.

أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة وأتى رسولهم إلى خصيصا
قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

وقد ورد في كتاب معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص كلمة خصوصاً لا (خصيصا) وقد أيدني في هذا مجمع فؤاد الأول للغة العربية.

بغداد عبد الخالق عبد الرحمن



امرأة معذبة

للأستاذ يوسف يعقوب حداد

جاء بغداد يبحث عن المتعة لنفس حرمت النعيم منذ عهد بعيد، جاء بغداد ينشد فيها حياة جديدة، حياة ممتعة، بعد أن مل الحياة على وتيرة واحدة، كأنها اسطوانة واحدة، تتكرر كلما أشرقت الشمس وغابت!

وكانت ليلته تلك في الفندق، أول ليلة له ينام فيها وحيداً، غريباً، فما سهل أن ألف حياة الوحدة والغربة.

ودقت الساعة الكبيرة القائمة أمامه عشر دقات، فوجد نفسه متحيراً، قلقاً، لا يدري أين يقضي سواد هذه الليلة، وقد اعتزم من قبل ألا يترك لحظة واحدة من أيام إجازته القلائل تذهب مأسوفاً عليها؟ — وفجأة تذكر أن فتيات (ملهى الأنوار) نزلن هذا الفندق، فتساءل بينه وبين نفسه، لم لا يذهب إلى (ملهى الأنوار) ويتعرف على جاراته الحسان؟ ... لم لا يقضي هذه الليلة بين كأس ووتر؟! ...

وفي طرف منعزل من حديقة الملهى، كان يشرب (بيرة) مثلجة، ويسمع نغماً مائعاً، ويتطلع بعينين جائعتين إلى أربع وعشرين ساقاً، تلمع كالسيوف المصقولة، تحت أشعة المصابيح الصغيرة الملونة! —

ولفتت أنظاره واحدة منهن، كانت تشرب الكؤوس متتابعة، وتختال بإفراط، قد كشفت عن صدرها وظهرها في إسراف، فظل يرمقها من مجلسه، لا يكاد يحول عينيه عن جسدها العاري، أو ينقل نظراته عن صدرها الناهد، وكم اشتاق إلى صدرها المريض ليريح عليه رأسه المتعب...

كان من عباد الجمال الثري، يأسره منه الشعر الأشقر كأنه سلاسل من ذهب، والعيون الزرق كأنها بحار من لازورد، والجسم الرشيق كأنه رمح مصقول، والنهود النافرة كأنها تتحدى السماء في عجرفة وكبرياء!

وكان صدره يتمزق أسى وحسرة حين وجد هذه الفاتنة اللعوب تلازم الشيوخ وقد عرفت في محافظهم انتفاخاً مغرياً، وتعرض عن الشباب وقد أدركت أنهم لا يملكون في جيوبهم غير مناديلهم المعطرة! — أحس أنه يشتهي هذه الفاتنة — ولكن دنانيره الهزيلة أضعف من أن تستطيع الوصول به إليها، فأسرع يغادر الملهى، ليدفن رأسه بين طيات وسادته، ويصم أذنيه عن صدى أغاني الراقصات المتشاركات المثيرة، ويغمض عينيه عن طيف «جانيت» الفتاة اليوجسلافية اللعوب التي أبت إلا أن تظل ماثلة أمام عينيه بدلالها، وبسمتها الماكرة فتنة، المتفجرة حيوية!

وأوشك أن يتغلب على الشيطان الذي يعاديه، أوشك أن يصرع الوحش الهائل الذي هاج في أعماقه ويستسلم لنوم عميق، هادىء، لولا أن رن جرس الباب رنيناً متصلاً، مزعجاً، أطار النوم الذي كان يثاقل جفنيه، فاعتدل يحاول أن يتبين الوقت في ساعة يده الفسفورية، فإذا عقارب الساعة تشير إلى الثالثة بعد منتصف الليل.

وتعالت عليه من أسفل السلم ضحكات ناعمة، رن صداها في

أذنيه الرهفتين ، فتذكر خيبات الماضي ، ثم ما لبث أن رأى « جانيت » تلك الفتاة التي أثارته بأنوثتها الحية وجسدها المثير وهي تخطب بجنة ورشاقة إلى غرفة التليفون التي سبقت اقترانه ، وتتحدث بلغة انكليزية ركيكة إلى خادم المقهى تسأله أن يرسل إليها زجاجات من (البيرة) المثلجة ! فأدرك من التواء المتكلمات في فمها ، وتعثر الألفاظ على شفتيها أنها ثملة ، وأنها فقدت السيطرة على أعصابها !

ولأول مرة رآها من قريب ، فراحت عيناه تلتهمان لحمها العاري المتورد وقد انحسر عنه الثوب ، ولكنه استطاع أن يقاوم ثورته وتشبث بسريره بقوة ، وظل صدره يرتفع وينخفض بشدة ؛ وأحس بقلبه يخفق في عنف ! — لقد أوشك أن يجن في اشتهاء هذه المرأة ، وكاد صدره يتمزق حسرة ؛ لأنه لا يستطيع ارواء غليله منها ! ... لأول مرة شعر أنه يكره من أعماق قلبه الضياء الناس ، يكرههم ، ويمقتهم ، مع أنه عاش حياته قانعاً بنصيبه من النعمة ، يحب الناس ويحبه الناس !

ولم يطل الصمت بعد أن أوت كل فتاة إلى غرفتها وأسلمت نفسها لأحضان فراشها وهي تلهث كالحيوان المتعب ، فقد رن جرس الباب مرة أخرى ذلك الرنين الطويل المزعج ، واقتحم الفندق ثلاثة من أبناء القوات ، قد أفقدتهم الخمر شعورهم ، وفيما هم يجادلون خادم الفندق جدالاً سخيفاً ، عملاً ، إذا بتلك الفتاة تخرج من غرفتها عارية إلا من ورقة التوت التي استترت بها حواء ، فما كادت عيون الشباب السكارى تقع على محاسنها المكشوفة ، حتى ثارت في عروقهم وحوش الشهوة ، فتشبثوا بها يريدونها لمتعتهم سواد تلك الليلة ، ولكن الفتاة أبت ، وحاولت أن تتملص من الأذرع الفولاذية ، ولكنها لم تستطع — فالفريسة قد وقعت بين أنياب الوحوش الكاسرة ! ... غير أن « جانيت » لم تشأ أن تستسلم لهم ، كالشاة الذليلة إلى الجزارة — فثارت فيها تلك الكبرياء الجائعة في أعماقها ، وراحت تنشد الخلاص بكل قوتها ، وما كان منها وقد كادت تخور قواها ، إلا أن تصوب من كفها الرخصة ، صفعة قوية إلى أشدهم قسوة ، تكون لإرهاب الوحوش ، وإبعادهم عنها ، ولكن هذه الصفعة التي تناهى رنينها إلى غرفة الفتى — قد أثارت نشوة الشباب المخمور ، وأحس بأن كرامته قد أذلتها امرأة ... يستطيع أحقر الرجال أن يذل كرامتها ، ويشتري شرفها وعزتها ، فتناول الفتاة بالضرب المبرح حتى أدمى جسدها .

وسمع الفتى صوت « جانيت » وهي تستغيث بصوت باك يقطع نياط القلب ، فقفز من فراشه وقد ثارت حميته ، وهب لنجدة المرأة المستغيثة ... وحين لحق بها ، وجدها مرفوعة في الهواء ، على ذراعي أحد الشبان السكارى ، يريد أن يقذف بها من حالق !

وانفض الفتية من صوت محتم ... ثم عاد إليها ليجدها وقد أسلمت نفسها للبكاء ، مرتجفة الكبد وبقيت المجير !

لم تكن الفتاة تبكي من جراحها الدامية أو من ألم الضربات المبرحة ، وإنما كانت تبكي حظها ، تبكي طهرها ، تبكي عفافها ... كانت تبكي لأنها فقدت الطهر والعفاف ، وصارت واحدة من بنات الهوى ، تفرش عفافها تحت أقدام اللذة المهزومة وتعرض جسدها للذة والإهانة ! ... كانت تبكي في مرارة مؤلمة ، وتنشج في حرقة وحرارة ؛ لأنها امرأة مهزومة تعجز عن الاحتفاظ بكرامتها والدفاع عن نفسها ... كانت تبكي لأنها عند الناس بائعة هوى رخيصة يستطيع كل من يملك ثمنها أن يؤجرها لمتعته وهواه ! ... نعم ، كانت تبكي لأنها في هذا البلد امرأة غريبة ليس لها من يحميها وقد حرمتها الحرب زوجها وطوح بها القدر الساخر إلى عالم داعر فاجر تتواثب في ساحته ذئاب ضارية وتتحفز لتلتهم عفتها وتفترس جسدها ! ... جرح الرصاص زوجها ، واختطف الموت طفلها — وساقها القدر من بلد إلى بلد وتنقل بها من منفى إلى منفى ، تهيم لطلاب المتعة جسدها ، وتشتري لنفسها الحياة !

كانت تشكو للفتى ظلم الحياة وقسوة القدر ، وتمزج حديثها بالدموع وتنهد من أعماق صدرها الزفرات ، وهو جالس أمامها وقد فاض قلبه بالعطف والحنان ، ولولا الحياء لمزج دموعه بدموعها ، كان رقيق القلب ، سريع التأثر إلى حد بعيد !

وسألته متوسلة أن يتحدث إلى خادم الملهى ليستحثه على إرسال زجاجات (البيـــرة) فقد اعتادت أن تذيب همومها في كؤوس الخمرة، ولكن الفتى أشفق عليها من كثرة ما شربت تلك الليلة، فأبى عليها أن تشرب، وأقنعها بأن تذهب إلى فراشها وتحاول أن تنام ... إن الإنسان لا ينسى همومه إلا إذا نام أو مات! ... غير أن الفتاة ألحت وتوسلت وكادت تقبل يديه من أجل كأس واحدة تخفف بها بعض أساها، ولكنه سألها في تأثر بالغ وهو يدفع بها إلى مخدعها في رفق — ولكنك ستقتلين نفسك يا سيدتي .. لمَ تنتحرين! فرفعت إليه عينين ذابلتين نقعهما الدموع، وأجابته في صوت مات فيه البريق — يا ليتني يا سيدي استطعت .. ليتني وضعت حداً لهذه الحياة الذليلة، حياة العار والذلة!

وعاد إلى غرفته ...

كانت الساعة تدق النصف بعد الرابعة حين سمع الفتى صوت بابها وهو ينفتح، ورأى ظلها أمامه على الحائط المقابل لغرفته وهي تضع كأساً على شفتيها، ودق قلبه دقات مضطربة وهو يسمعها تبكي بكاء مخنوقاً وتسعل سعالاً مكتوماً، فغادر غرفته ليستطلع أمرها، وكم كان ارتياعه شديداً حين رآها تتجرع كأساً من حامض الفنيك كان خادم الفندق ينظف به الغرف والممرات!

وأسرع إليها كالمجنون ينتزع الكأس من بين شفتيها انتزاعاً، ثم دس سبابته في فمها ليرغمها على إخراج ما أدخلت في جوفها من سم زعاف!

كانت الفتاة بين يديه كالخرقة البالية ...

كانت كالغصن الذابل المقطوع من شجرة ...

كانت جسداً متخاذلاً جامد الأطراف ...

إن هذه الفتاة على صدره، المستسلمة لذراعيه، العارية بين يديه هي نفسها تلك المرأة التي اشتهى أن يمد يده إلى لحمها العاري ليحس سمنته وطراوته ... إنها نفسها تلك المرأة التي اشتاق منذ ساعات إلى صدرها العريض ليريح عليه رأسه المتعب — ولكنه بحث عن تلك الرغبات في نفسه فلم يجد لها أثراً؟ ... كانت قد ماتت في صدره كل الرغبات ولم تعد تختلج أو تتحرك! ... إن ذلك الوحش الهائل الذي كان قد ثار في صدره بعد أن رآها لأول مرة في الملهى قد خمدت ثورته وشلت كل حركة فيه! ... ذلك الوحش الهائل نفسه قد عاد الآن إنساناً تختلج في قلبه عاطفة نبيلة إنسانية كريمة!

وأسرع يلف جسدها العاري بملاءة فراشه، ويحملها إلى أقرب طبيب!

ولم يبق في ذلك الفندق أكثر مما بقي، فقد كانت تلك المرأة كلما وقعت عليه عيناها تذكر تلك الليلة المشؤومة فتنهمل الدموع من عينيها، وتشكو الجرح العميق الذي خلفته في قلبها ... أشفق عليها من مرارة الذكرى، وغادر الفندق إلى الأبد!

عراق — البصرة

يوسف يعقوب حداد